فلنحب ولنمت
في أندورا فقط

فلنحب ولنمت
في أندورا فقط

رواية

جنكيز أبدولاييف

ترجـمة

د. ثائر زين الدين **د. فريد الشحف**

اسم الكتاب: **فلنحب ولنمت في أندورا فقط.**

اسم المؤلف: **جنكيز أبدولاييف.**

اسم المترجم: **د. ثائر زين الدين – د. فريد الشحف**

الترقيم الدولي: **ISBN**: 978-9933-567-14-9

الناشر: **دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.**

سنة الطباعة: **2017.**



يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

سورية - دمشق - جرمانا - ص.ب: 249 جرمانا

هاتف: 00963115618956

: 00963115637060

فاكس: 00963115632860

aklpublishing@gmail.com

الفصل الأوّل

قالت أوفرا وهي تُسرِّحُ نظرها في الجبال المحيطة:

- يا لهم من سعداء، إنهم لا يعرفونَ حقّاً كم هم سعداء!

وافقتُها قائلاً:

- نعم، أعتقدُ أن إبسِن – لو تعرفين – هو الذي قالَ: إن معظم الناس يموتونَ دون أن يعلموا أنهم لم يعيشوا حَقاً، يموتون سُعداءِ لأنهم لا يعرفون ذلك، رُبّما كانت جملتي غير دقيقة تماماً، لكن المعنى على هذهِ الصورة!

قالت أوفرا وهي تنأى بنظرها عن الجبال:

- نعم الـ "ك. ج .ب"[1] اعتادَ أن يدرّبَ عُملاءَهُ وفق مستوى عالٍ من المهنيّة. حتى إنكَ قد قرأتَ إبسن؛ أما أنا – يا لخجلي الشديد – لم أقرأهُ قطُّ.

أجبتُها بشيءٍ من الغضب:

- ما علاقة الـ "ك. ج .ب" بالأمر، من يسمعك يظنُّ أنّ الموساد[2] عندكم لا يدرّب إلا البلهاء فقط. إنني وبكل بساطة أحبُّ القراءة كثيراً. وأنتِ بلا شك سمعتِ عن إبسن أو قرأتِ له، لكنك تتظاهرينَ بالسذاجة،

1) جهاز الاستخبارات السوفييتي (لجنة أمن الدولة).

2) جهاز استخبارات الكيان الصهيوني.

وهذهِ – بالمناسبة – واحدة من تعاليم استخباراتكم، أقصد التظاهر بأن واحدكم يعرف أقل مما هو مطلوب! ولعلّها في نهاية المطاف سمة يهوديّة صِرفة!

- أنتَ مُعادٍ للساميّة – قالت أوفرا متصنعةً الاشمئزاز – إنني قد أفهم حسيناً الذي يرى أن اليهود جميعاً ولدوا في جهنّم؛ أمّا أنت الإنسان المثقّف. تفو.. يا للقرف!

- وهذهِ أيضاً من تقاليدكم! يكفي أن ينتقدكم شخصٌ ما حتى تلصقوا عليه بطاقة: "معادٍ للساميّة !" وكان عليكِ فيما يتعلّق بي ألا تطلقي هذهِ الصفة لأنكِ تعلمين أنني لستُ كذلك.

وردّت أوفرا بخبثٍ واضح:

- من يسمعك يعتقد أنّ من تقاليد حبيبك الـ "ك. ج .ب" إهداء الناس الورود! نعم نحن ملائكة الله مقارنةً بأولئك الأوغاد أمثالك، تذكّر فحسب ما الذي لم تفعلوه، وتتجاسر على اتهام اليهود المساكين؟ كم قتلتم من البشرِ في معسكرات الاعتقال، أعتقد أن العدد أكثر مما قتَلَ هتلر نفسه.

- صحيح. لم يبقَ إلا أن تنعتيني بالفاشي!

أنا لم أغضب منها، هذه هي طريقة تفكير الإنسان الغربي، المأخوذة

بالدعاية الغربية العدوانية المجنونة والقائمة على التزييف.

- أنا لم أقل ذلك، وعموماً حان موعد عودتنا إلى الفندق، لقد أصبح الطقس بارداً، وإن لم نفعل في الوقت المناسب فإن ذلك الجاسوس البريطاني سيظن أننا مارسنا الجنس في مكانٍ ما، زاويةٍ معزولة من زوايا أندورا. إن له على الدوام عينين فارغتين غامضتين. ويعدّون الاستخبارات الإنكليزية واحدة من أفضل أجهزة الاستخبارات في العالم كله.

- إنه يتظاهر بذلك، يريد أن يبدو كجيمس بوند غير مثير للشك. وهم جميعاً يتظاهرون بالسمو والرفعة.

الجواسيس الإنكليز جميعاً في نهاية حياتهم يشرعون بكتابة مذكراتهم أو يصبحون كُتّاباً: سومرست موم، غريم غرين، يان فليمينغ، جون لي كاري، والقائمة قد تطول كثيراً، إنهم معجبون بأنفسهم وراضون عنها لدرجة تدفعهم أن يحدّثوا العالم أجمع عن أفكارهم ومحاكماتهم العقليّة. وعموماً يفضّلون دوماً أن يظهروا على حق! استدارت نحوي سائلةً:

- هل تعتقد ذلك ؟

- ومقتنع بذلك تماماً. لقد أمضينا يومين كاملين ونحن نتشاجر فقط. أعتقد أن الأمر ليس طبيعياً، فلنترك الـ "ك. ج . ب" و"الموساد" جانباً؟ لقد التقى شخصان لطيفان معاً، ما الضير في ذلك؟

- تقصد أنك شخص لطيف؟!

- قلت "شخصان لطيفان".

- وما المشكلة فعلاً ؟ أعطني يدك، احذر الأرض هنا زلقة. مستقبل مغرٍ.

- سأفكّر في الأمر. أرغب كثيراً في مضايقة ذلك الإنكليزي! الذي يعتني بي مُظْهراً الشوق نحوي! وكأن المسألة جزءٌ من عمله الوظيفي.

- وماذا بإمكانه أن يفعل؟ أمامه سيدتان فقط؛ أنتِ وإيلزا. وعليه أن يتقرّب من إحداكما! ضَغطتْ على يدي دون إرادة؛ وقالت:

- لا أريدك أن تتحدّث عن تلك البقرة! كنت في روضة الأطفال عندما بدأت العمل في "شتازي"[1].

- إنه اللؤم النسائي بالتحديد. المرأة تكبرك بسنتين على الأكثر!

وامتعضت أوفرا بشكلٍ واضح:

- ما هذا الكلام؟ حكّم ضميرك وأضف صفراً إلى يمين العدد. لقد كانت عاملة في عهد هتلر!

والحق إن أفضل طُرفة في العالم يمكن أن تحدث عندما تبدأ امرأة بالحديث الفظّ عن أخرى.

أما فيما يخص أوفرا فإن ردّ فعلها محض دلال؛ فهي أولاً قد تجاوزت

1) وكالة الاستخبارات الألمانية الشرقية.

الثلاثين من عمرها، مع أنها ما زالت تحافظ على قامةٍ هيفاء، وجسدٍ متناسق عجيب لصبيّةٍ يافعة لا تتجاوز الثامنة عشرة!. وهي – بلا شك – تبدو أكثر جاذبية من إيلزا شيرنير الضخمة، ولكن الأمر في نهاية المطاف يتعلق بالذوق الشخصي لكلٍّ منا! فحسين الإيراني المسلم المؤمن، يرى إيلزا في غاية الجمال والرشاقة وهو يحاول استمالتها مع أنني أشك أن باستطاعته تحقيق النجاح معها ومضاجعتها!

على كل حال هذه أيضاً مسألة شخصيّة.

لعلكم قد استنتجتم أنني لست سويّاً! فهل يعقل جمع هذه الجمهرة المختلطة مع عملاء أكثر أجهزة الاستخبارات في العالم شهرةً وفي مكان واحد؟! ولكن الحقيقة تُبيِّن أن هذا ما حدث بالفعل، أما المكان الرائع الذي يجمعهم فهو أندورا.

هذه الأوقات هي أفضل أيّام السنة، إذ لا وجود إلا للقليل من السيّاح، هدوءٌ وراحة. البلد نفسه لا يزيد عدد سكانه على ستة وثلاثين ألفاً، تسعة آلاف منهم يعيشون في العاصمة. تصوّروا؟ قرية حقيقية كبيرة؟!، لكن أيّ قرية!

إنها أسطورة. وفي هذا البلد الصغير اجتمع ثمانية عملاء لأكبر أجهزة الاستخبارات في العالم. أولهم – الروسي، السوفييتي سابقاً؛ الذي عرفتموه

من خلال وخزات أوفرا – أنا: خادمكم المطيع!، وثانيهم أوفرا مانديل نفسها؛ عميلة الموساد، ولعل استخدام هذا الجهاز في مهماته مثل تلك النساء ذوات الجمال الباهر يفسّر وجوده ضمن خمسة أجهزة الاستخبارات الأولى في العالم من حيث الفعاليّة!

ثمّ الإنكليزي بيتر مورتيمر، الملحاح، البارد ككثير من الإنكليز الذين بسبب ذلك على الأرجح يمجّدون جيمس بوند. إن بيتر هذا يكفي أن يقوم بخطوتين إضافيتين أو خاصتين حتى يغدو الأمر حدثاً كاملاً، وعلى أيّ حال هو مجرّد كلام أسوقه...!

ووصل طبعاً ممثّل الـ "سي. آي . إي"[1] السيد جوليو أنتشيبيللي، وهو أمريكي من أصل إيطالي، وإذا ما كان لجهنم قوّاد فلا بد أن يكون هو، لكم أراق هذا الرجل من دماء أفراد جهاز الـ "ك . ج . ب" السابق، والاستخبارات الخارجيّة حالياً؛ أتصوّر قريباً أنهم سيرسلون أفضل الخبرات للبحث عنه، وعندها سيكون لزاماً إيجاده والقضاء عليه، طبعاً الأفضل فِعل ذلك في أندورا، لكن ليس في مثل هذه الظروف، إذ إننا الآن على مرأى من الجميع. ولدينا حالياً مهمّة صعبة وعلى درجة كبيرة من الضرورة؛ وفي كل الأحوال حين يريد ذوو الشأن يمكن التخلّص من ابن

1) المخابرات المركزية الأمريكية.

العاهرة هذا دون أن ينتبه أحد.

لدينا أيضاً ممثّل الاستخبارات الإيرانية حسين، الذي قَدِمَ من مكان ما، دون ربطة عنق تزيِّن بدلته، انسجاماً مع قوانين بلاده الصارمة في هذا الشأن، وحسين هذا هو الذي يغازل إيلزا شيرنير. لقد عرفت إيلزا منذ زمنٍ بعيد، أذكر تماماً أنها عملت بشكلٍ جيد لحساب "شتازي"، وربما تذكرون أن هذا هو اسم وكالة استخبارات ألمانيا الشرقيّة، ثمّ لم تعد هناك دولة اسمها ألمانيا الشرقيّة، ومِن ثَمَّ لم تعد استخباراتها موجودة، لكن إيلزا دعيت بعد عامٍ من ذلك إلى العمل في الاستخبارات الألمانية، وما زالت تعمل بنجاح حتى اللحظة.

وبالتأكيد لن يكتمل المشهد دون شخصٍ فرنسي! لكن إذا كان الشخص الذي أعنيه فرنسياً أصلياً، فسأكون أنا غالينا أولانوفا الحقيقية!

كيف تتخيلون هيئة الفرنسي في العادة؟! نعم؛ على الأغلب طويل، جميل، أنيق، أما صاحبنا هذا فصغير، قصير القامة، أصلع وممل! يجلس جانباً في زاوية من زوايا المكان ويقرأ الصحف، وكأنه لم يتمكن من قراءتها في بيته أو أي مكان آخر ، مع أننا يمكن أن نعد أندورا بيته أيضاً، ذلك أن هناك إدارة مشتركة لهذا المكان إسبانيّة - فرنسيّة، والكثيرون مع السكّان والزوّار يتحدّثون الفرنسيّة وتقبل الأسواق والمحلات التجارية

التعامل بالفرنك الفرنسي مع أنها تفضّل العملة الإسبانية.

اسم هذا الفرنسي بول، ونحن نسمّيه فيما بيننا الصغير بول، وقد علمت منذ فترة قصيرة أنه خدم في فيلق للجيش الفرنسي وكان برتبة ضابط، ينبغي مراقبة هذا الصغير باهتمام شديد.

وأخيراً، خاتم العملاء – الصيني لي تسزيون. لا يمكن قول أي شيء بحقّه! إنه نموذج جدّي، صامتٌ دائماً، ومبتسم دائماً، الجميع يتأملون أسنانه الرائعة، التي لا نستطيع أن نميّز إن كانت طبيعية، أم من زراعة طبيبٍ ماهر؟!

إذاً هذه تركيبتنا، نحن الذين حضرنا إلى هذه البقعة الرائعة من الأرض؛ المكان المثالي للراحة والاستجمام والاختلاء – أندورا. ليس بالضرورة أن تعرفوا لماذا حضرنا إلى هذا المكان، فهناك بعض الأمور، التي لا يعرفها إلا أصحاب المنازل القدسيّة!

وهكذا اتفقت حكومات دولنا جميعاً على إرسالنا إلى هذا المكان للقيام بعمليّة مشتركة؛ مرتبطة باليورانيوم، وكما ترون فبالإضافة إلى ممثلي الدول دائمة العضوية في مجلس الأمن حضر ممثلو إسرائيل وإيران وألمانيا.

واعتقد أن الأولى والثانية تمتلكان قنابل ذرية، لكنهما تفضلان التكتّم بخجلٍ على هذه الحقيقة. أما الثالثة فلا تملك تلك القنبلة حتى الآن، مع

أن لـديها رغبـة شـديدة في ذلـك علـى مـا أظـن، وهنـا، وفي ظـل وجـود إمكانيـات اقتصـادية ضـخمة، واسـتقرار واضـح للمـارك الألمـاني، فـإن هـذه الرغبـة البريئـة تفـرض عليـك مـن جديـد أن تتـذكر تحـذيرات السـيدة تاتشـر، عندما أثارت مخاوفها عملية توحيد ألمانيا.

إن لقاءاتٍ كلقائنا اليوم تجري بصورةٍ عامة في أماكن محايدة؛ في جزر بحر الكـاريبي أو في جنـوب شـرق آسـيا، وتعـد سويسـرا، نيبـال، الأرجنتـين هـي الأمـاكن المثاليـة لـذلك، لكـن أحـد العظمـاء قـرّر أن المسـألة لا تسـتوجب إنفـاق قـدر كبـير مـن العملـة الصـعبة علـى مهمتنـا؛ فيكفـي أن يجـري اللقـاء إذاً في أندورا الصغيرة المريحة.

وهكـذا وجـدنا أنفسـنا في هـذا البلـد الـذي لم نكـن نعـرف أنـه موجـود إلا على الخرائط!

مـا الـذي أثـار اهتمامنـا هنـا؟ عـدد قليـل مـن رجـال الشـرطة يحـافظون علـى الأمـن والهـدوء في هـذا البلـد الطيّـب. لا وجـود لقواعـد عسـكرية، لا جـيش، لا عسـكر علـى الإطـلاق، وإن حـدث أَنْ رأيـت بعـض الجنـود القلائـل فـلا يتعـدّى سـبب وجـودهم تجميـل الـديكور علـى خلفيّـة هـذه الجبـال الزرقـاء – الشـاحبة. أعتقـد أننـا لـو تلقَّينـا تعليمـات بـإجراء انقـلاب عسـكري، لاستطعنا تحقيق ذلك من دون أيّ مساعدة.

أنتشيللي رامٍ ماهر، يقولون: إنه يرى حتى في الظلام الدامس، وأنا أثق بذلك، لمعرفتي كيف كان متميّزاً في أنغولا، حين كان يدرّب المتمرّدين. وحول مورتيمر تدور أساطير تجعل منه جيمس بوند حقيقياً مقارنةً بـ فليمنغ المتخيّل! أما زميلنا الصيني فقد علمت أنه مطلوب من خمس دولٍ آسيويّة كمجرمٍ شديد الخطورة، والصغير بول؛ الذي خدم ضابطاً في أحد المعسكرات الفرنسية، يفضّل مجالسته في المطاعم فحسب! وتروي الشائعات – ولا أدري مدى صحّة ذلك – أن النساء الإفريقيّات في بعض مستعمرات فرنسا القديمة يُخفن أطفالهنّ المشاكسين به!

الألمانية إيلزا كانت أفضل من ينفّذ أحكام الإعدام في "شتازي"، يقولون: إنها قتلت عدداً من العملاء يفوق عدد ما قتلناه نحن مجتمعين، وفي هذا شيء من المبالغة، لكنها في جميع الأحوال غير مريحة، بل تبعث الاشمئزاز، وبالمناسبة ليست أوفرا مانديل أفضل منها مع أنها جميلة جداً، لقد شاهدتها أكثر من مرّة في عدد من دول أوروبا الشرقيّة، عندما كانت الدول شرقيّة، اليوم تسمى هذه الدول أوروبا الوسطى، أما شرق أوروبا فقد انزاح إلى مكان ما، في سمولينسك أوفورونيج.

أما صديقنا الإيراني حسين فيعدّ بطلاً قومياً في بلده، ومجرماً في دولة مجاورة!؛ وقد رصدت تلك الدولة مبلغاً خيالياً مقابل رأسه.

هل أدركتم الآن صعوبة أن نجتمع سويّاً في هذا البلد الصغير وخطورة ذلك!

بكل بساطة لا يمكن لأحدنا أن يستدير!! ومع ذلك ينبغي أن نتبادل الابتسامات وننظر حتى يظهر الأبله رقم تسعة هنا! ونختبره؛ وفي كل الأحوال هذه مسألة لا تهمُّكم أنتم.

إننا إذاً ثمانية أشخاص، نعيش حسب الاتفاق في فندق "نوفوتيل"، إنه فندق كبير بما فيه الكفاية بالنسبة إلى أندورا. يقع على ضفّة لا أدري ماذا؟

نهر، أم وادٍ، أم جُرف جبلي عظيم، وفي كل الأحوال يقع في الجانب الآخر من الجزء الرئيسي أو المركزي من العاصمة. حظي كان أوفر من حظ مورتيمير البارد فقد كانت غرفتي ملاصقة لغرفة أوفرا، وصار بإمكاني قرع بابها بكل هدوء، أو مرافقتها إلى باب غرفتها المذكور، بل يمكنني أن أحاول الدخول، مع أنني أفضّل ألّا أكون ملحاحاً.

في اليوم الأول لوصولنا وجّه حسين كلاماً نابياً لأوفرا، فما كان منها إلا أن قامت بحركة مجرّبة سابقاً – على ما يبدو – فسكبت عليه صحن الشوربا الساخنة، وصرخ بجنون، ثم لم يحاول الاقتراب منها إلا بحدود خمسة أمتار. يومذاك فقدت شهيتي للطعام، وقررت التعامل بحذر مع هذه

المرأة!

بالمناسبة إنني حتى الآن لم أقدّم نفسي لكم. اسمي... وهل تعنيكم حقاً معرفة اسمي؟ لن أصدمكم بالتأكيد فأذكر لكم اسمي الحقيقي، يكفي أن أخبركم أنني حجزت في الفندق باسم رودولف ليجينسكي، ومع أن زملائي السبعة يعرفون اسمي الحقيقي بالتأكيد ولكنهم جميعاً ينادونني: رودولف؛ إنها شروط اللعبة، وأنا أنادي كلّاً منهم بالاسم الذي قدّم نفسه به، وحتى لو كنت – مثلاً – أعرف أربعين اسماً لأنتشيللي فذلك لن يقلّل من كونه ابن عاهرة. هأنذا لا أتمالك نفسي وأشتم مرّة ثانية، فيظن معظمكم أنني أتحامل عليه، أو أكنُّ له عداوة شخصيّة. لا أبداً، فهو بالنسبة لي إنسان جذّاب، لكن صفته كابن عاهرة في هذه الحالة ليست شتيمة، بل إثبات للحقيقة التي تبدو جافة!

قرّر خمسة منّا أن نتجوّل مساء اليوم في أحياء هذه العاصمة التي بدت كئيبة. ولا أعتقد أن يغضب مني الأندرويّون، بل على العكس سيوافقونني الرأي أن هؤلاء الأشخاص الذين اعتادوا العمل في أكبر عواصم العالم، وكقاعدة يرون الكرة الأرضيّة كلّها مجالاً لعملهم سينظرون إلى أندورا على أنها ليست المكان المناسب للعمل والراحة!

ربّما كان من المناسب القدوم إلى هذا المكان. من أجل الحب. يسوءني

أنني وأوفرا على رأسي عملنا، وإلا لكان من الممكن أن نقضي الوقت بصورةٍ رائعة: جبال، هواء، أناس صدورهم مفتوحة، طقسٌ رائع ماذا يبقى بعد ذلك للشعور بالسعادة؟

على كل حال قرّرنا نحن الخمسة أن نتجوّل، إنه الأسلوب الأنجع لجعل زميلك إلى جوارك دوماً.

كان أوّل من تحدّث عن التجوال إيلزا، ووافقها حسين على الفور، ثم رغبنا أنا وأوفرا أن ننضمّ إليهما، ثم وافق بول أيضاً على مشاركتنا. رفض الثلاثة الباقون رفضاً قاطعاً الخروج؛ تمتم مورتيمير شيئاً ما حول رداءة الطقس، وصمت الصيني ولم ينبس ببنت شفة.

أما أنتشيللي فتوجّه إلى المشْرب لاحتساء البيرة. خرجنا نحن الخمسة إلى الجبال، لم نكن نعلم حينها أننا سنفقد واحداً منا ذلك المساء، حتى لو أننا عرفنا ذلك – وهذا ما أشك فيه – فلربما ما انثنينا عن القيام بهذه الجولة السيئة؛ التي بدأت منها الأحداث!

الفصــل الثاني

انقضت الرحلةُ بنجاحٍ تام. رافقنا دليلٌ سياحي محلّي، أطلعنا على معالمِ المكانِ وتاريخه، كانَ في الأمرِ شيءٌ غير قليل من المتعة وشيءٌ من الملل؛ ولكن ما الذي يمكن ممارستُهُ في بلدٍ صغيرٍ كهذا وبرفقةِ هذهِ المجموعة من الجواسيس. وهكذا مشينا مُتراصين خلف دليلنا السياحي الطوعي الذي لم يبخل علينا بالشروح والمعلومات. خلفَهُ تماماً مشت إيلزا شيرنير، مشية ثابتة تعكس ثقةَ صاحبتها بنفسها، لكأنها تسيرُ في عرضٍ عسكري، وراءَها مشى حسين الذي استثمَرَ ميلها الواضح نحوه حين دفعتهُ أوفرا بعيداً عنها؛ خلفَه سارَ بول الصغير جامعاً الأزهار في دربِهِ؛ كانَ ينبغي أن يراهُ المرء وهو يشم تلكَ الأزهار ليدرك كم هو حسّاس وماهر – ضابط المعسكر الفرنسي هذا – إن لم يكن يمثّل طبعاً.

وخلفَ الجميع سرتُ أنا وأوفرا، وكنتُ أمدُّ يدي لمساعدتها في الأماكن الصعبة، راحت هذهِ المرأة تثير إعجابي أكثر فأكثر، كانت ترتدي بدلة غامقة اللون، وقد أحسنت باختيارها لأنها كانت تبرز قامتها ومفاتنها، عيناها مالتا إلى الزرقة الغامقة وبدا أنفُها صغيراً ، متسعاً قليلاً، ليذكّر بأصولها!! لم أكن من قبل قريباً منها كما أنا الآن ولو فعلت لتلقيّتُ هديّةً سريعة من الـ "ك. ج . ب" بوزن تسعة غرامات، تقذفُ في القلب مباشرةً

أو في الدماغ، وعليَّ أن أعترف أنني لا أحبُّ هذهِ الهدايا! لمثل هذا كنتُ أتجنّب أوفرا وأبقى بعيداً عنها! ثُمَّ من كانَ ليصدّق أن المسألة مجرّد إعجاب!! ضابطٌ من الإدارة الأولى[1] للـ "ك. ج . ب" يعجب بضابط من الموساد، حالة مثيرة للاهتمام حقاً؟! لن أستطيع بأي شكلٍ من الأشكال أن أشرحَ الأمر. أنتَ مارست الجنس مع العدوة - هذا يعني ثرثرتَ بالأسرارِ كلها. خائنٌ تقريباً، وماذا يفعلونَ للخونة، تذكرونَ بلا شك؟ إنها وصايا ستالين. لا أحد يرغب أن يراكَ رَجُلاً فحسب ويراها امرأة فحسب. يمكنك أن تمارس الجنس مع زميلاتك قدر ما تشاء. يمكنك أيضاً أن تمارسه مع رجلٍ آخر؛ وهنيئاً مريئاً ما دام الآخر ضابطاً في الـ: "ك . ج . ب". أيضاً وليس في الموساد، ولو كانَ من الموساد فستحاكم بخيانة ذات ميول لوطيّة! وعندها أنت أمامَ جرمين مباشرةً: اللواط والخيانة وعقوبة ذلك مدّة طويلة من السجن... ولا سيّما جَرّاء التهمة الأولى!

تجوّلنا طويلاً، نحو ثلاث ساعات، وحين عدنا إلى الفندق كنّا جائعين ومتعبين، ولكنهّم لم يتركونا نتناول طعام العشاء بهدوء. نحنُ عادةً - أقصد هؤلاء الجواسيس - نتناول وجبتي الغداء والعشاء معاً؛ ولهذا انتظرنا

1) الاستخبارات الخارجيّة للـ ك. ج . ب / المترجمان /.

أحد زملائنا كي ينزل من غرفته وينضم إلينا على طاولة الطعام، لكنّه تأخّر، انتظرنا بصدق، ولم ينزل فشعرنا بالامتعاض، نحنُ جائعون جَرّاء رحلتنا الطويلة وهذا النذل يتدلّل علينا، فما كان من السيدة شيرنير إلا أن أرسلت عامل البار ليحضر النعجة التائهة! وما هي إلا خمس دقائق حتى حضرت سيارة شرطة أندورا، وبدأت المشكلة.

الأمر الحسن أننا بدأنا تناول العشاء لحظة أرسلت السيدة شيرنير ذلك العامل، ولم ننتظر الزميل المتأخّر.

سمعنا في البداية صُراخاً هستيريّاً، ثُمّ هرعَ إلى الأعلى موظفو الفندق جميعاً وبعد دقيقة انضم إليهم نزلاء الفندق. أصبحَ الضجيجُ لا يطاق. نحن السبعة فقط لم نلتفت إلى ما يحدث، وتابعنا تناول الطعام بهدوء وكأننا غير معنيين بما يحدث! حينما صعَدَ رجال الشرطة إلى المكان تركنا طعامنا آسفين وبدأنا الصعود. هناكَ كان عميلنا الإنكليزي بيتر مورتيمر في غرفتِهِ مطروحاً على الأرض وقد فارق الحياة، لقد قُتلَ جيمس بوند. لم يكن مظهر الموت يقلقنا، بقدر ما كانت تعنينا مسألة أخرى – من فعلَ ذلك؟ على الطاولة إلى جانب الجثّة شاهدنا كأساً فيه سائلٌ ما، وما كان صعباً أن نعرف محتويات الكأس الذي شرب منه صاحبنا بضع رشفات، لأن رائحةَ لوزٍ خفيفة كانت تنبعثُ من المكان، وهذا يعني أن الإنكليزي سيئ

الحظ تسمّمَ بملح سيانور الكالسيوم، وعلينا الآن أن نعرف من القاتل. لقد جئنا إلى أندورا فرادى، وحجزَ كلٌّ منا في الفندق بشكلٍ مستقل، ومِن ثَمَّ فلن يكون لدى الشرطة أيّ شكوك تجاهنا، لكننا قرّرنا انتظار رحيل رجال الشرطة لنناقش الأمر في اجتماع مشترك، كانَ لزاماً علينا أن نجدَ قاتل زميلنا، وما كانَ أحد منا يشكُ بأن القاتل من خارجنا نحنُ السبعة! ولذلك ما إن جلسنا حول الطاولة وطلبنا فنجان قهوة لكلٍّ مِنا حتى قرّرت إيلزا شيرنير بدء التحقيق: قالت بلغتها الإنكليزيّة الرائعة:

- وهكذا أيها السادة، تدركون أن مأساةً قد حدثت؟ ليس من مصلحتنا أن نقول: إننا زملاء القتيل، لكننا ملزمون بالتأكيد أن نجد القاتل، ولو كان الأمر لمجرد حماية أنفسنا؛ ولذلك نبدأ معكَ سيّد أنتشيللي.

فتمتَمَ الرجل:

- جننتم، لماذا أنا بالذات؟

سألت إيلزا شيرنير:

- لأننا جميعاً كنّا معاً أثناء ارتكاب الجريمة! فأينَ كنتَ أنت؟

- أنا جلست إلى المشْرَب في البار، وشربت بيرة، أعتقد أنهم كانوا يعرضون مباراة كرة قدم على التلفزيون.

- كرةُ قدمٍ أوروبيّة – دققّت إيلزا شيرنير، مما يُحسَبُ لسرعةِ بديهتِها –

وأنتَ أمريكي؟! هل شاهدتها فعلاً؟

- نعم. لماذا تسألين؟ تعلمين أنني أمريكي من أصل إيطالي، وأنتم جميعاً تعلمون بلا شك أن الإيطاليين يحبونَ كرة القدم!

وفجأةً سألَ بول:

- من سَجّل هدفاً في هذهِ المباراة؟

- كفّوا عن الشك بي – أجاب أنتشيللي بغضب – هل تعتقدونَ بالفعل أن بإمكاني قتله!؟ أنتم جميعاً مرضى إذاً؟ كنتُ سأفقد رأسي لو فعلت؛ عميل في المخابرات المركزيّة الأمريكيّة يَقتُلُ عميلاً سريّاً للاستخبارات البريطانيّة. مثل هذهِ الخزعبلات لا تقبَلُ حتى في الأحلام!

- لعلكَ قتلتهُ لهذا السبب بالذات؟ – قُلتُ أنا هذهِ المرّة مازحاً بحذر ومحاولاً عدم إثارة غضبهِ.

- لتذهب إلى الشيطان – جاءَ ردّ فعلهِ صَخباً ومشكوكاً فيهِ، مع أنّه قد يكون على حق المهم أنني لم أكن أروقُه.

سألت إيلزا شيرنير:

- لم تغادر البار مُطلقاً؟

أجابها أنتشيللي باحترام:

- غادرتُ مرتين ، مَرّةً إلى الحمام وأخرى إلى غرفتي لإحضار بطاقة

الصرّاف.

- كان باستطاعتك أن تعرّج على غرفة مورتيمر؟

- طبعاً كان باستطاعتي ولكنني لم أفعل؟

ثم انفجرَ صارخاً:

- لماذا تسألونني أنا بالذات؟ ألا تعتقدون أن عليكم أن تستجوبوا ممثل الصين الشعبية أولاً؟! أعتقد أنه بقي في الفندق وهو باعتقادي لا يمتلك دليلاً قاطعاً ينجيه!

- أما أنت فتملك دليلاً قاطعاً – قال حسين مصوباً عينيه إلى الأمريكي وقد سُرَّ بالحالةِ التي وصَلَ إليها.

أجابَ أنتشيللي غاضباً:

- أقصد، حتى لو بدا الأمرُ غريباً، لكن نعم لديّ الدليل، فأنا لم أصعد إلى غرفتي بمفردي كي أُحضر بطاقة الصَّراف، كان معي صحفي يعملُ في إحدى الصُّحفُ الأمريكيّة، لقد وَصَلَ صباحَ اليوم، وعندما عَرَف أنني هنا حَضَرَ لزيارتي، وأستطيعُ إن رغبتم أن أعطيكم عنوانه، إنّه يستأجر شقّة هنا في أندورا.

- هل ذهبَ معكَ أيضاً إلى المرحاض – قالت أوفرا وقد صَعقَها أيضاً قَتلُ الإنكليزي، مع أنني صراحةً لا أجدُ ما يدين الأمريكي!

أجاب أنتشيللي وقد بدأت الأسئلة المتواترة تخرجُهُ عن طورِهِ:

- لا لم أصعد إلى المرحاض في الأعلى ففي البار يوجد مرحاض، ولو أني صعدتُ مَرّةً أخرى للاحظ الجميعُ هنا ذلك. وبالمناسبة أيتها السيدات والسادة لماذا تهاجمونني بهذا التكالب الجنوني؟ وكلكم يعلم أننا نحن والإنكليز أكثر الحلفاء قُرباً، وتعلمون أيضاً أن السيد لي تسيزيون بقي في الفندق أيضاً، فلماذا لا تحققون مَعَهُ بهذا الأسلوب العدواني؟

قالت إيلزا شيرنير على الفور:

- فعلاً هذا صحيح!

رفَعَ الصيني يدَهُ قائلاً:

- لا أيُّها السادة، لن تحصلوا على شيء، كنتُ مصاباً بالصُّداعِ، وأمضيتُ المساء كُلّه جالساً في الأسفل على الشرفة، وقد شاهدني عشرات الأشخاص، كما أنني لم أخرج إلى أي مكان، وهذا يعني ببساطة أنني لستُ القاتلَ!

وهنا علا صوت حسين:

- هل لكَ على أيّ حال أن تعطينا اسم الصحفي وعنوانه؟

صَرَخَ أنتشيللي غاضباً:

- لتذهب إلى الشيطان، لماذا أُتَّهَمُ أنا فقط؟ رُبّما سمعتم معي قول الطبيب:

إن مورتيمر ماتَ قبل أربع ساعات، وهذا يعني قبلَ خروجكم بنصف ساعة، ألا يبدو لكم الأمر غريباً جداً؟! أنتم تخرجون وهو يموتُ فوراً! ألا تجد في ذلك غرابة سيد ليجينسكي؟

لم تعجبني لهجتُهُ أبداً فقلت:

- ماذا تقصد؟!

فأوضَحَ أنتشيللي ما أرادَهُ مستهزِئاً:

- ألا يمكن أن يكونَ جهازكم قد أرسَلَ أحداً ما؟

- على ما أذكر أنكَ قدمت لنا عرضاً عن الدليل الصحفي الأمريكي – أجبته مباشرةً – أو أستطيع أن أخيّب أَمَلَكَ فأنا لم أتخلّف عن المجموعة مطلقاً، ويمكن للسيدة مانديل أن تؤكد ذلك؟

فجأةً سألَ الصيني بهدوء:

- من هو صاحب فكرة الرحلة إلى الجبال؟ لعلّ المسألة قد خُططَ لها مُسبقاً؟

ولم تستطع أوفرا رفضَ المشاركة في هذهِ المُتعةِ السانحة:

- أتصوّر أنها شيرنير!

كادت الألمانية تُصابُ بالاختناق جَرّاء امتعاضها الشديد، فصرخت:

- وما الضيرُ في ذلك، منذُ متى يتساوى الخروجُ إلى الجبال مع محاولة

القتل؟

يا له من غباء، هل تعدّون هذا دليلاً أيّها المتخصِّصون!

وهنا أعادَ أنتشيللي لها ديونَها كاملةً:

- لا تقولي ذلك، فقد كان باستطاعتك أخذ كل شيء بالحسبان، بحيث تعرِّجين خلسةً على غرفة مورتيمر وتسكبين له تلكَ المادة الـمُقرفة في كأسِهِ، وزميلنا سيّئُ الحظِّ، هذا يثقُ بالناس، يدخلُ إلى غرفتِهِ، فيشرب ذلك الشراب!!

- إن قولكَ هذا يدفعني إلى البكاء – عَلّقَ بول بحزن – ومع ذلك فالقاتلُ ما زالَ مجهولاً؟

سألَ أنتشيللي شيرنير:

- ماذا فعلتِ قبلَ خروجك؟

- ألا تخجل! جمعتُ أشيائي، وبدّلت ملابسي وخرجت. وبالمناسبة غرفتي ليست في طابقِ مورتيمر نفسه!

قالَ بول مدقِّقاً:

- من يقطنُ في الطابق نفسه؟

ابتسم أنتشيللي ابتسامةَ مكرٍ ونظرَ إلى حسين قائلاً:

- أتصور أنهُ يقطنُ معكَ في الطابق نفسه.

شحبَ وجه حسين وأجاب:

- نسكنُ في نهايتين متباعدتين من الطابق، وما علاقة ذلكَ بالموضوع؟

تذكّر لي أمراً فقال:

- لكنكَ عُدتَ إلى الفندق، وأتذكّر قولكَ لي إنكَ نسيتَ علبة أعواد الثقاب.

وتذكّرت أنا الأمر فقلت:

- نعم بالفعل، لقد عُدتَ أدراجكَ يا حسين، وقد أفسحنا لكَ أنا وأوفرا الطريق كي تمر!

قالَ أنتشيللي مُلحّاً:

- الإيرانيون بشكلٍ عام لا يحبّون الإنكليز، وكذلك الأمريكان! أليس كذلك. غضب حسين وأجاب:

- أخذتُ علبةَ أعواد ثقاب من البار مُباشرةً، ورأيتم كيفَ عُدت بسرعة، أنا لم أصعد إلى غرفتي!

أجمل بول النتائج قائلاً:

- لنُنْهِ الموضوع، زميلنا بيتر مورتيمر قُتل، ولم نجد قاتله حتى الآن، وعلى العموم أيها الزملاء ما يثير الاستغراب أن سبعةً من أفضَلِ عناصر الاستخبارات في العالم لم يتمكّنوا من إيجاد القاتل في واحدة من أكثر

الجرائم سذاجةً. إنه أمرٌ معيب! تمتم حُسين قائلاً:

- أنا شخصياً لن أشرب الماءِ اعتباراً من صباح غد، من الضروري بعد ما حدث أن نغلي الماءِ قبل شربهِ!

- يجب علينا في جميع الأحوال أن نكونَ معاً – اقترحتُ أنا – بهذهِ الطريقة فقط يمكن إزالة الشك في أن يكون الفاعل واحداً منا.

هَزّ أنتشيللي رأسه قائلاً:

- موافق، لكن بشرطٍ صغير واحد: في المرّة القادمة وقبلَ الهجوم عليّ يجب أن تحلّلوا المعطيات والحقائق بهدوء.

- هل أنتَ مُتأكّد أنّه ستكون هناك مَرّة أخرى؟ – قالت أوفرا مبتسمةً ابتسامةً رائعة لا تتكرّر؛ آه كيف أصفُ لكم ذلك، لكأن قطيعاً من النملِ مشى على جلدي، وأحسّ أنتشيللي بشيءٍ ما فتمتمَ قائلاً:

- هي مجرد عبارة لا تعني شيئاً، مع أن علينا توقّع ما لا يخطر بالبال حين تكون هذه المجموعة من الجواسيس في مكان واحد.

- يجب علينا جميعاً ألا نسمح بتكرار شيء مشابه – قال بول بثقة عالية. يزداد إعجابي بهذا الرجل أنه الوحيد تقريباً الذي لم يخرج عن طوره ولم ينفعل، كان ينبغي أن نتصرّف جميعاً بهذه الصورة، لكن انفعال شيرنير وعدم قدرتها على تمالك نفسها قادنا إلى هذا التصرف الصبياني، كان من

الأجدى أن نجري التحقيق بصمتٍ وهدوء وبجهودِ شخصٍ واحد منا أو اثنين، وعندها كنا استطعنا التدقيق بالتفاصيل والتأكد من منّا كان صادقاً ومن كان كاذباً.

لم يكن حسين مثلاً مضطراً لتعريض نفسه للاتهام بعودته كي يحضر علبة أعواد ثقابه، ثم ألم يكن بمقدور أيٍّ منا – نحن الأربعة الذين خرجنا إلى الرحلة – أن يعرّج قبل خروجه على غرفة ذلك المسكين بيتر، وأن يدبّر ما حدث دون أن يلاحظ الجميع ذلك؟!

ومسألة فتح الأبواب هي آخر همومنا؛ ألسنا جميعاً خبراء بذلك ! لكن ما اقترحه الآن وهو عنصر مهم جداً ينقص التحقيق أن نختار من بيننا شخصاً واحداً يمكننا كلنا أن نثق به ثقة مطلقة ونوكل إليه المهمّة؟ هل يمكنكم تصوّر ذلك؟ أي شخص منّا يمكن الوثوق به؟ صحيح! لا يمكن الوثوق بأحد. والقاتل – على ما يبدو – قد حسب حساباً لذلك، فعندما يستحيل أن نختار واحداً منا ونمنحه ثقتنا فمن الصعب أن نجد القاتل! إيجاد القاتل يحتاج بالدرجة الأولى إلى حكمٍ نزيهٍ تماماً، وهذا مستحيل في الظرف الحالي.

ذهبت فيما بعد لإيصال أوفرا إلى غرفتها، مسكين مورتيمر كان يغار عليها مني كثيراً شعرت بالحزن عليه حين فكّرت بذلك، من الغباء أن

تموت بفعل سُمٍّ مسكوبٍ في كأسك الخاصة، إنها طريقة رخيصة، حين ابتسمت لي أوفرا نسيت كل ما حولي، صحيح أنها لم تدْعُني لدخول غرفتها، لكن ابتسامتها كانت واعدة جداً، لعل ذلك سيحدث غداً! علينا أن نمضي بضعة أيام أخرى في هذا المكان ومن الممتع أن تكون مع أوفرا. انحنت برشاقة وتمنّت لي ليلة هادئة ودخلت غرفتها!

لو رأيتم جسدها من الخلف وهي تغادر، وشممتم عطرها؛ اعتقد أنّه: "قمرٌ وشمسٌ ونجوم" من مجموعة كارل لاغيرفيلد الجديدة؛ لا تتجرؤوا على الشك!! لدي حاسة شمٍّ رائعة، تماثل تلك التي يتمتّع بها صانعو العطور. إن بإمكاني أن أحدّد أي نوع من أنواع العطور التي مرّت عليَّ سابقاً، وأي نوع من أنواع السجائر يدخن هذا الشخص أو ذاك من رائحته، وليس مصادفةً أن يسمّيني زملائي في العمل: الكلب البوليسي رودولف! لقد قبضت على شخصٍ في باكستان منذ ثماني سنوات من خلال آثار عقب سيجارته المطفأة، ولا تسألوني ماذا حصل له بعد ذلك ليسكنه الله فسيح جنّاته!

عدت إلى غرفتي وأقفلت الباب جيداً، الحذر واجب بعد ما حدث لعزيزنا مورتيمر، علينا ألا نتقبّل الشاي أو القهوة من يدِ أيٍّ كان، بلى إلا إذا قدّمتها لي أوفرا وأنا في السرير؛ يا لها من أحلام تدور في رأسك يا

رودولف.

وصلت إلى هنا عن طريق برشلونة. كنت قد استقلّيت الطائرة من إسطنبول، ثمّ ركبت الباص من برشلونة إلى أندورا الصغيرة، الطريقة الأسهل في الوصول إلى هذه البلاد هي باستخدام الباص، الرحلة تستغرق خمس ساعاتٍ بما فيها فترات الاستراحة، كان الطريق عبر الجبال رائعاً، عليك إذا ما أردت زيارة هذا المكان أن تكون بصحبة امرأةٍ محبوبة، حتى إن رغبت بالموت فقد لا تجد أفضل من هذا المكان، ينبغي أن تحب وتموت في أندورا فقط. ربّما كان من الممل أن تعيش بصورة دائمة هنا، ولكل هذا فلعلّ الحظ قد حالف بيتر، حين اختار له أن يموت بين هذه الجبال المهيبة، ووسط مجموعة من كبار جواسيس العالم، أي موتٍ يمكن أن يكون أفضل من هذا؟!

الفصـــل الثـــالث

أيقظني في الصباح الباكر قرعٌ فظٌّ على الباب. أكره أن يوقظني أحدهم بهذه الطريقة.

إن في ذلك عدم احترام لساكن المنزل. ترى هل أثّر موت بيتر في سكان أندورا إلى هذه الدرجة؟ في جميع الأحوال هذا فعل وقح! تلبّثت في فراشي لبعض الوقت لكن القرع لم يتوقف، عندها كان لا بد من فتح الباب، كانت أوفرا تقف خلف الباب، يا لها من رؤية جميلة، ما كنت أتصوّر أن امرأة بهذا الجمال تقف وراء ذلك الإزعاج، قلت لها مسروراً:

- ادخلي، اعذريني لم أتمكن من ارتداء ملابسي!

خاطبتني أوفرا مضطربةً:

- رودولف مصيبة حدثت لنا!

أبديت شيئاً من السرور من خلال فتحة الباب غير الكاملة:

- هل يعقل أن يكون أنتشيللي قد مات غرقاً في البانيو.

- بل أسوأ من ذلك! هذه الليلة أحدهم قتل شيرنير.

يا له من نبأ. فتحت الباب بصورةٍ كاملة ناسياً أن ما يستر جسدي هو قليل جداً!

- ماذا تقولين ؟ – اكتشفت لحظتها أن لغتي الإنكليزيّة فقيرة جداً.

أوضحت أوفرا:

- خنقها أحدهم هذه الليلة، أعتقد أنّه القاتل نفسه.

- أنتشيللي – تمتمت – إنه هو ابن القحبة، أنت شككت به منذ يوم أمس، وهي كانت واثقة من أنه القاتل، وها هو ذا يتابع فعلته!

قاطعتني أوفرا:

- بدأت الشرطة باستجوابه، إنهم يحققون مع النزلاء كافةً، القوميسار يصرخ بأن جريمتين في يوم واحد أمرٌ يتجاوز الحدود، ويهدد بإقفال الفندق.

- انتظريني سأرتدي ثيابي – تمتمتُ بذلك دون أن أستجمع رشدي.

أغلقت الباب وأسرعت بارتداء أوّل ما وقّعت عليه يدي، كان عليّ أن أحلق ذقني ولكن لا وقت، وينبغي ألا أجعل امرأة جميلة مثل أوفرا تنتظر.

خلال دقيقة كنت جاهزاً:

- كيف خنقوها ؟ – سألتها. الحمد لله أنني الآن أستطيع أن أثق بأوفرا على الأقل، فلا أتصور أن لديها من القوة ما يكفي لتخنق امرأة شديدة البأس مثل إيلزا شيرنير.

- بالمخدّة. أحدٌ ما رمى نفسه عليها وخنقها – أوضحت لي أوفرا بسرور واضح، وتغير مزاجي من جديد؛ إذا كانت هناك رغبة أو إرادة فبإمكان

عميل رقيقٍ مثل أوفرا أن يوجّه ضربة تفقد شيرنير وعيها، ومن ثمّ يخنقها بالمخدّة، وقد شاهدت عنف أوفرا وسرعتها في التصرّف حين تصدّت لحسين!

- لم أفصح عن شيء من هواجسي هذه، لكن مزاجي كان قد تعكّر. كان بمقدور القاتل أن يخنق شيرنير بيديه، ولكن الشكوك عندها ستحوم حول الرجال.

- في الأسفل كانت تدور جهنّم حقيقية. الشرطة تحقق مع الجميع، القوميسار يتنقل سريعاً في جنبات الفندق ويطلق صيحات غاضبة بين الحين والآخر. لكأنهم أحضروا إلى هذا المكان رجال الشرطة في البلاد جميعاً. النصيب الأكبر من الاستجواب كان لزميلنا الصيني فقد شاهده أحدهم ليلة أمس يدخل غرفة إيلزا شيرنير، والآن ينوون اعتقاله على ما يبدو. أقسم الرجل أنه قرع باب الغرفة فحسب ليسأل متى ينوي الأصحاب أن يتناولوا الفطور في الصباح وإيلزا شيرنير، وبموافقة مجموعتنا هي العريف غير المعلن لنا، الذي يقوم على تدبير أمور مجموعتنا المتحابة! ولحسن حظ "لي" شهدت إحدى عاملات النظافة أنها كانت تعمل في الممر لحظة طرق لي باب غرفة شيرنير، وأكدت صحة كلام زميلنا الصيني، ثمّ اكتشف المختصون أن شيرنير خُنقت قبيل الفجر، وهذا لا يتوافق مع

الوقت الذي قرع فيه الصيني باب القتيلة.

في كل الأحوال كانت زميلتنا الألمانية ميّتة، وإذا أخذنا بالحسبان أننا لم نتمكن البارحة من تناول طعام العشاء كما يجب، فإن فطورنا هذا الصباح سيكون أسوأ بالتأكيد.

استمر رجال الشرطة في استجواب الناس، آملين أن يجدوا القاتل.

قال أحد زملائنا متوتراً: "يمكنهم أن يجدوا القاتل بطريقتهم هذه بعد ثلاثمئة عام".

في نحوِ الثالثة ظهراً توقّفت تلك القباحة. غادر رجال الشرطة بعد أن تركوا في الفندق اثنين منهم، عندها فحسب ذهبنا نحن الستة لتناول طعام الغداء؛ فعلنا ذلك بصمت كامل، حتى إذا قدّموا لنا القهوة افتتحت أوفرا الكلام بشيءٍ من التحدّي:

- رُبّما علينا في النهاية أن نجلوَ الأمر؟!

- نعم – أيّدها بول سريعاً – أعتقد أن علينا جميعاً أن نوّضِّحَ الأمور؟!

تنهّدتُ:

- المسكينة شيرنير.

- قال أنتشيللي بحذر:

- ما الذي تريد قوله؟

- لا شيء – أجبت ببساطة – إنها امرأة مسكينة، لعلّها اقتربت يوم أمس من الحقيقة أكثر مما ينبغي، فقتلوها مع الفجر!

أجاب أنتشيللي بحقدٍ واضح متمالكاً نفسه:

- هكذا إذاً!! أعتقد أننا سنعود إلى البداية.

- عندما اتهموني – قال لي وكأنه يتذكر – ظهرت عليكم جميعاً أعراضُ "الإنسان الأبيض" مادامَ هذا الرجلُ آسيويّاً فهذا يعني أنه مخطئ، ولهذا سَرّكم أن تفترسني الشرطة! عَلّق حسين قائلاً:

- الحمد لله أنني لم أطلب هذهِ المرّة أعواد ثقاب من شيرنير وإلا لحملتم عليّ جميعكم كما في السابق. ومع ذلك فقد كانت السيدة شيرنير امرأة رائعة!

عقب أنتشيللي بحقد:

- سافلة رائعة! وبغض النظر عن كل شيء علينا أن نكتشف من فعل ذلك، آمل أيّها السادة ألا تشكّوا الآن أن القاتل الحقيقي موجود بيننا!

قلتُ لهُ:

- ليست المسألة مسألة شك، لكن من حقّنا أن نعرف من يكون، هل يمكنك مساعدتنا؟

- توقفْ عن هذا الأسلوب!

كان أنتشيللي يكرهُني، لم ينسَ نيكاراغوا، كيفَ ألحقتُ الهزيمة بعناصرِهِ وقبضتُ على اثنين منهم حَيَّيْنِ!

- لكنّهُ مُحق – عَلّق الزميل الصيني، لقد كانت الصين الشيوعيّة نصيرةً لنا دائماً. تدخّل أعْقَلُنا الصغير بول:

- دعونا نتكلّم بهدوء.

لقد جعلوا منه خلال خدمته في المعسكر الفرنسي أكثر النماذج اتزاناً، مثل ذلك المعسكر يقوّي طبيعة جنوده على تحمّل الحالات الخطرة، أمّا أصحاب الطبيعة الضعيفة أو الرقيقة، فتبعث فيهم طبيعة الحياة العسكرية الغمّ، وتحوّلهم إلى أصحاب أعصاب معطوبة، فيصابون بمرض النورستينك. بالمناسبة يسمّون ذلك المعسكر في فرنسا بالمعسكر الأجنبي، أما أنا فمن الأسهل عليّ تسميته بالمعسكر الفرنسي.

اقترح بول بهدوءٍ شديد:

- أرى ألا نهتاج، بل أن نعمل بهدوءٍ ونحاول أن نتبيّن من يمكن أن يرتكب هاتين الجريمتين البشعتين.

سألت أوفرا:

- ما طريقة العمل التي تقترحها؟

- يجب أن نختار واحداً من بيننا ونمنحه الصلاحيّات الكافية لإجراء

تحقيق دقيق، ونحن جميعاً ناسٌ جديّون، فلو سمحنا لهذا التنافر أن يكبر فإننا لن نعجز عن معرفة القاتل فحسب، بل سنجد أنفسنا ضحايا له!

سأل أنتشيللي بخبث:

- ومن تقترح علينا أن نختار؟ بدا واضحاً أن الأمريكي لا يحبّنا نحن الاثنين: أنا وبول، أما أنا فأستطيع أن أكتشف بسرعة سبب كرهه لي، لكن لماذا لا يحب الفرنسي؟ هل لأن المنافسة بين الاستخبارات الفرنسيّة ونظيرتها الأمريكية تزداد حدّة يوماً بعد يوم؟

أعلن حسين:

- أما أنا فلن أبقى في هذا الفندق بعد اليوم، سأنتقل فوراً إلى مكان آخر، وهو أمرٌ لا بد منه للحفاظ على حياتي!

سأله لي:

- إلى أين ستنتقل؟

- سأجد فندقاً ما. هناك عند سفوح الجبال فندق يبدو جيداً اسمه على ما أذكر "روك بلانك".

- هل هذا اسم فندق؟

- نعم. المكان هناك هادئ تماماً!

عاد أنتشيللي يسأل الفرنسي من جديد:

- لم تجبني على سؤالي!

- أعتقد، سيكون الأمر جيداً لو فوّضنا هذه الصلاحيّات للإنسان الوحيد بيننا، الذي – أغلب الظن – ما كان باستطاعته تنفيذ الجريمة السابقة، أعني الآنسة أوفرا مانديل، أولاً: لأنها المرأة الوحيدة بيننا، وثانياً: لأنها ما كانت قادرة أن تخنق امرأة قويّة مثل السيّدة شيرنير، وثالثاً: لأنها المرشّحة الوحيدة التي لن يعترض عليها أحد؟!

قال لي بلهجة من اتخذ قراراً حاسماً:

- سأنتقل مع حسين إلى الفندق الذي سمّاه! مع أنني لم أره من قبل هل هو بعيد عن الشارع الرئيسي؟

أجاب بول:

- عندما تبدأ الصعود نحو الجبال؛ هناك في الأعلى إلى الجانب الأيسر من الطريق في العمق قليلاً يقع الفندق، وهناك أيضاً بين البيوت تجد مقهىً جيّداً!

- كيف عرفت؟ سأله أنتشيللّي.

- أنا فرنسي، وهذه هي أرضي تقريباً، حتى إن بإمكاني القول: إنكم ضيوف عندي أيها السادة. إذا كان يعجبكم طبعاً أن تكونوا ضيوفاً عندي؟!

- أنا لا يعجبني – قلت مباشرةً – ربما تعلم يا بول أنك على الصعيد الشخصي تروق لي، أغمض عينيه قليلاً – وتعجبني أندورا كثيراً، لكن أن تحدث جريمتا قتلٍ وبهذه الصورة! إنه لأمرٌ غريبٌ جداً وكريه! ألا توافقوني الرأي؟

أجاب بول:

- مفهوم. أنا آسف بالفعل لما حدث.

سألت أوفرا:

- هل سنجتمع هنا كالعادة؟

قال حسين بحذر:

- أعتقد أنه الاحتمال الأفضل، لكننا سنتناول فطورنا في فندقنا.

قلت وقد تذكّرت أمراً:

- أُهدي إليَّ قلم ذات يوم من إسبانيا وقد قرأت عليه: "روك بلانك"؛ إنه اسم شركة على ما يبدو؟!

- لا أعرف، يمكن أن تكون شركة – أجاب حسين متوتراً بعض الشيء.

– لكن اعتقد أنه من الأفضل ألا أكون معكم في هذا الفندق، جريمتا قتلٍ متتاليتان هذا كثير جداً ولا أريد أن أصبح الثالث؟!

سأله أنتشيللي فجأةً:

- لماذا تعتقد أنك ستكون الثالث؟

هزّ حسين رأسه وتابع كلامه:

- لن ينتهي الأمر عند هذه الجريمة. الله وحده يعلم متى تنتهي حياة كل منّا، لكنني أخشى أن يكون أحد الجالسين هنا قد قرّر أن يصبح أداةً للشيطان!

- الشيطان هو ديافل* - قلت لزملائي مازحاً متحبباً - كان لدينا في الاتحاد السوفييتي السابق جيران كثيرون من المسلمين، ولهذا أنا أعلم معنى هذه الكلمة. وضعت أوفرا يدها فوق يدي قائلة:

- ما دمت تعرف كل شيء، فهلّا تخبرنا من قتل السيد مورتيمر والسيّدة شيرنير؟

- طبعاً أعرف من القاتل! - أجبتُ بهذه العبارة فتجمّد الجميع، حتى الصيني الرزين رماني بنظرة غريبة! وبدا حسين كالمنوّم مغناطيسياً، في حين وضع بول فنجان القهوة على الصحن، وسحب أنتشيللي سيجارته من فمه، أوفرا فقط ظلّت على ما هي عليه، وحدّقت مباشرةً في عيني.

تابعت بهدوء شديد:

- قتلهما ذلك الشخص الذي قرر أن يخدعنا جميعاً، يظنّ نفسه أكثر

* لدى الروس مفردات تعني "الشيطان" منها "ديافل" و"ساتانا " وغيرهما /المترجمان/.

ذكاءً ومكراً ! لكنّه مخطئ. سيراقب بعضنا بعضاً منذ الساعة ولو حاول أحدنا أن يستخدم مهاراته المهنيّة ضدّ زميله فسيلقى عقاباً شديداً. القاتل حذرٌ جداً؛ فقد تمكّن من سكب السمّ في كأس المسكين مورتيمر، وأنا لا أفهم تماماً لماذا شرب تلك الكأس؟ لكن الأمر حدث! وفيما يتعلّق بالسيّدة شيرنير فلا بد أنكم سألتم أنفسكم: كيف تمكّن من قتلها؟ كيف استطاع دخول غرفتها بهدوء تام، وقام بخنقها بالمخدّة وهي ليست طفلة؟!

هذا قد يعني أن القاتل يعوّل على إمكاناتِهِ وقدرتِهِ على خداعنا مَرّةً ثالثة! لكنني آملُ ألّا يتمكن من ذلك. علينا من الآن فصاعداً مراقبة بعضنا بعضاً، بحيث نشكلُ دائماً زوجاً من... لنقل زوجاً متناقضاً، أقصد اثنين يراقب أحدهما الآخر ولا تنطلي حيلُ كلٍّ منهما على الآخر، أنا على سبيل المثال لا أستطيعُ أن أراقب سيدتنا الرائعة أوفرا مانديل، لأنها تعجبني كثيراً، وإذا كانت تُبادلُني الأمْرَ ذاته، فلن تتمكّن من مُراقبتي جيداً، وفي كل الأحوال ستعتقدون أننا نتآمر عليكم، فإذا كانت لا تبادلني الشعور نفسه فعندها يمكن أن تكون شريكتي!

لو تسنّى لكم أن تروا تلك النظرة الرائعة التي رمتني بها سيدتنا الجميلة؛ ليسَ عبثاً إذاً أنهم عَدّوني الغاوي الأفضل في الإدارة الرئيسية للـ

"ك.ج.ب" ولعلها الأفضل بين نساء الموساد! وعلى أيّ حال إنني اليوم أعملُ إلى جوار العميل الأكثر جمالاً في حياتي المهنيّة!

ابتسمت لي أوفرا بتودّد وقالت:

- أعتقد رودولف أننا لن نكون "شريكين" إننا متشابهان كثيراً وغمزتني؛ فيما يشبه الوعد!

تدخّل بول:

- في هذهِ الحالة لا يمكن إيجاد "شريك" لعريفتنا الرائعة أفضل من حسين! لديكما على ما أعتقد تناقضٌ شديد دينياً وعرقياً!

- أو يا الله – تنهّد حسين – هذهِ ليست امرأة؛ إنّها حارسةُ الجحيم.

عندما يرغب حسين يلفظُ الكلمات الإنكليزيّة بصورةٍ رائعة؛ وإن قلتُ لكم: إنّه يتكلم الإنكليزيّة مثل الراحل مورتيمير فربّما لا تصدقونني. وحسناً تفعلون! وهو لا يتقن الإنكليزية فقط، بل الفرنسيّة أيضاً وهو لم يبدأ بالظهور لمتعصّب ديني إلا في السنوات العشر الأخيرة؛ قبل ذلك كانَ وسيطاً وتاجراً ناجحاً يعملُ لصالح الاستخبارات الإيرانية زمن الشاه. ويقال: إن الشاه رضا بهلوي نفسه قَلّدَهُ وساماً بعد قيامهِ بعمليّة ما؛ كان يومها شاباً في مقتبل العمر. تصوروا إذاً الخبرة الكبيرة التي يمتلكها، وكم هو مفيد لرؤسائِهِ حتى إنّ أحداً من مسؤولي النظام الجديد لم يتعرض له،

بل على العكس من ذلك احتفظوا به وها هم يكلّفونه هذهِ المهمّة ذات المستوى العالي إلى أندورا ، لذلك فإنه يصلُحُ "شريكاً" لأوفرا تماماً.

تابع بول كلامَه:

- الزوج الثاني الذي لا يثير أيّ مقدارٍ ضئيل من الشك! إنهما "يحبُّ" بعضهما بعضاً لدرجة تَجعَلُ أحدهما يبادرُ إلى الشتم حين يذكر الآخر!

إنهما زميلانا: السيدان أنتشيللي وليجينسكي!

لو رأيتم وجهَ أنتشيللي ساعتها؛ ولعلّ وجهي لم يكن أحسنَ حالاً.

- أنتم في هذهِ الحالة تخطّيتم الحاجز! لن نشكّلَ معاً أي ثنائي ناجح – قلتُ مُسرعاً – لن نستطيع مراقبة بعضنا بعضاً، ببساطة سيهشّمُ واحدنا وجهَ الآخر، وإذا ما عرفنا القاتل أو رأيناه فسيتكلّم الرصاص ساعتها! إننا غير مناسبين لتشكيل ثنائي.

قالَ بول:

- أنت بنفسك حدّدتَ شروط تشكيل مثل هذا الثنائي؛ فتحلّ بالصبر.

آملُ ألا تكون أنتَ القاتل؟

- سنشكّلُ ثنائياً – وعد أنتشيللي بصورة غامضة ولم ينظر نحوي، بل تابَعَ نفثَ دخانِ سيجارته.

عندها أكمل بول:

- الـزوج الثالـث سـيتألف مـني أنـا ومـن ضـيفنا الصـيني بـالرغم مـن أن الاختلافـات بيننـا ليسـت عميقـة مثلمـا هـي عنـد السـيّد حسـين والسـيدة مانديل، وليست متناقضة إلى تلك الدرجة الموجودة بين السيدين أنتشيللي وليجينسـكي، ومـع ذلـك فـنحن نمثّـل نظـامين مختلفـين بمـا فيـه الكفايـة، وجهـازا اسـتخباراتنا مختلفـانِ تمامـاً، لـذلك سـيكون مـن الصـعب علينـا الاتفاق؛ كما هي الحال عندكم!!

وابتداءً من هذهِ الساعة سيبدأ كل واحدٍ منا بمراقبةِ ومتابعةِ شريكه!

ها قد بقينا ستة أشخاص، ولدينا يومانِ، أعتقد أن علينا التحلي بضبط النفس والقدرة على التحمل، والانتباه الشديد.

- لكنني سأنتقل إلى فندق آخر – ذكّرنا منزعجاً!

- ما اتفقنا عليه يعني: لا تنتقل! – قال بول ذلك بكل حزم، فتذكّرت مباشـرةً قصـته في إفريقيـا؛ لـو أنكـم سمعـتم نـبرة ذلـك الصـوت! إن بـول الصغير – على ما يبدو لي – هو الأكثر قدرة بيننا على إثارة الرعب في نفس الآخر.

- إذاً ينبغي عليّ أنا الانتقال من الفندق – قالت أوفرا مدركةً المسألة. زفر بول قائلاً:

- نعم، لا يمكننا أن نغيّر شيئاً طالما اتفقنا.

قلت غاضباً:

- إنه لغباء شديد أن ترسلهما إلى مكانٍ ما في آخر الدنيا! هل جننت بول؟

مع من ترسلها؟ مع السيد حسين الذي قد يخنقها في ذلك الفندق!

قاطعني بول برصانة:

- حاول حسين ذات مرّة أن يقول شيئاً فكانت الشوربة حارّة جداً! أما ما يتعلّق بالمخاطرة فهو أمرٌ من تكاليف مهنتنا، وأخيراً – وهو الأهم – لا يبعد فندق "روك بلانك" أكثر من عشر دقائق سيراً هادئاً على الأقدام. إنه ليس بعيداً من هنا سيد ليجينسكي وآمل في النهاية أن السيدة مانديل تحمل مسدساً؟!

- نعم أحمل مسدساً – أجابت أوفرا بثقة – مع أنني أفضل أن أبقى هنا، وعلى كل حال أتمنى أن نجتمع على الغداء والعشاء هنا.

وأخيراً تدخَّل أنتشيللي:

- هذا الأمر ليس جيداً، فإذا حصل مكروه للسيدة مانديل ستكون أنت المذنب سيّد بول. دعنا نفعل ما تريده بشكل آخر، الأفضل مثلاً أن تنتقل أنت والسيد لي من الفندق، ويبقى زميلنا الإيراني معنا.

رفض حسين الأمر بصورة قاطعة:

- لن يحدث هذا أبداً ولاسيما أنك أنت من اقترحت ذلك سيد أنتشيللي يمكنني أن أثق بالأفعى ذات الأجراس أكثر مما أثق بإنسان مثلك. لن نغفل أبداً عن حلم الاستخبارات الأمريكيّة بالعودة إلى إيران.

- آه، كم أصبحت تقياً سيّد حسين - قال أنتشيللي باحتقار - لعلك نسيت كيف قتلت ذلك المعارض الإيراني في باريس عام 1977 بقرارٍ من استخبارات الشاة، ويومها لم تعترض على مساعدة الـ C.I.A؟!

ليس باستطاعتك أن تقول شيئاً! المعلومات التي يقدّمها أنتشيللي دقيقة كالعادة. لقد سمعت أنا أيضاً تلك الحكاية. لم يرتبك حسين مع ذلك وأجاب بسرعة:

- كان ذلك منذ زمن بعيد، نور الحق يومها لم يكشف لي الوجه الحقيقي للأمريكيين.

لم أدرك عمق سقوطي إلّا متأخراً وندمت!

علّق أنتشيللي:

- أهنئك، وآمل ألّا يكون نور الحق قد أعماك!

- لا تقلق. استدار حسين قليلاً، وارتسمت على وجهه الملتحي ابتسامة ما.

كانت ابتسامة حقيقيّة، لقد صدق من قال: عملاء الاستخبارات جميعاً

متشابهون مبدئياً. نحن عشيرة أبناء قحبة. وظائفنا وصعوبات عملنا مشتركة ولكن أرباب عملنا مختلفون!

- ماذا سنفعل إذاً ؟ – أعادنا بول إلى بداية الحديث.

اقترح لي:

- عليك إجراء بعض التغيير في الأزواج! سأنتقل أنا وحسين إلى الفندق الآخر وتبقون أنتم ومعكم المرأة في هذا الفندق.

- أعتقد أنك محق – أحنى بول رأسه – وأنا أكنُّ للسيدة مانديل شعور صداقة مُخْلِصاً.

لقد ضرب بول على الوتر نفسه، فأهدته أوفرا ابتسامتها!

هنا كان عليّ أن أتدخّل:

- لا. ليس بهذا الشكل. لم يبق من الأزواج التي اقترحتها سيّد بول، إلا أنا وأنتشيللي، فهل سنراقب واحدنا الآخر نحن فقط هذا ليس لائقاً ولا محموداً من جانبكم أيها السادة، وهذا يعني أنكم تشكّون بنا نحن الاثنين فقط!

- بالطبع لا – اعترض بول – لكننا سنصبح واثقين من إمكانية استبعادكما من قائمة المشبوهين وإذا راقبتما أحدكم الآخر بنزاهة فسنبقى نحن الأربعة موضع شك، ويكون من الأسهل إيجاد القاتل في المرّة التالية.

الفصـــل الرابـــع

إذا أراد أحدكم قص شعره والعناية به، فليفعل ذلك في أندورا فقط، وأؤكد لكم أنها إحدى أجمل المتع لديّ. أعتني دائماً بشعري، ربما لأن التسريحة الجميلة هي آخر ما يتبقّى للرجل في هذه السن الحرجة، أعني في مثل سني، عندما تصبح في الأربعين فهي شيخوخة الشباب، وفي الخمسينيات من عمرك نستطيع أن نقول: إنك تجمع حالتي الشباب والشيخوخة، أما الستينيات فهي سن النضوج والسبعينيّات من عمرك هي مرحلة الحكمة، وما بعد ذلك تدخل حالة من البلاهة فبعد الثمانين يمكن أن تعد نفسك أبلهَ من الدرجة الأولى؛ إذا كنت ما تزال على قيد الحياة، وبالتأكيد بعض الاستثناءات القليلة في هذا السياق تؤكد أن ما ذهبت إليه هو حقيقة مطلقة!

ينبغي أن أعيش وقتاً طويلاً حتى أبلغ الثمانين، طبعاً إذا تمكّنت من مغادرة أندورا، وإذا لم أرتكب أيّ خطيئة قاتلة في الخمس عشرة سنة القادمة، أما إذا أخذت بالاعتبار خصوصيّة عملي فالأمل ضعيف. لعلي خرجت عن الموضوع قليلاً.

إن صالون حلاقة الشعر في أندورا – متحف رائع تعمل فيه أجمل الفتيات وأمهرهن.

إذا رغبتم بالحصول على المتعة فسافروا لقصّ شعوركم في أندورا. الصالون الذي أتحدّث عنه في المدينة مقابل فندق "نوفوتيل" مباشرةً، على السفح المقابل للجبل أو على ضفّة نهرٍ..... لم أحفظ اسمه، إيجاد هذا الصالون سهل جداً. يكفي أن تسألوا أي أندوري، ثمّ تذكّروا أنه يقع أيضاً إلى جانب محطّة الباصات التي تصل من برشلونة. وإذا لم تجدوا هذا المكان الرائع لسبب ما فبإمكانكم الاتصال على الرقم 827164، واسألوا عن المزيّنة "ليلي" التي تعمل فيه، وتوجهوا إلى أندورا بشجاعة.

استقبلوني هنا كواحد منهم، كنت لحظتها الزبون الوحيد، وعليكم أن تتوقعوا ذلك حين تأتون، ولاسيما أن عدد سكان الدولة لا يتجاوز ستة وثلاثين ألف نسمة، يقطن منهم في العاصمة تسعة آلاف فقط، ولعلّي أخبرتكم بذلك من قبل أدخلوني بداية إلى صالة ضيقة تقع إلى يسار المدخل، وأعطوني مريولاً جميلاً لألبسه، طبعاً خلعت قميصي فقط، كي لا أدهش الفتيات الجميلات بمنظر عضلات الساقين . كنّ وكأنهن قد انتقين من أجمل الجميلات: ممشوقات باسمات يرتدين سراويل سوداء، ومراييل بيضاء قصيرة ، ربما تمّ اختيارهن من فرنسا وإسبانيا، وعبر مسابقة خاصة. أجلسوني على الكرسي وأمالوا رأسي إلى الخلف، فغسلوا شعري ودلّكوا فروة رأسي، لن ينفعكم كلامي شيئاً من الأفضل أن تجرّبوا ذلك بأنفسكم

بالإضافة إلى هواء الجبال العليل.

بعد ذلك قامت فتاة أخرى بوضع منشفة على شعري وجففته، ثم ظهرت ليلي أخيراً، لم تكن جميلة فحسب، بل فاتنة، قامة ممشوقة أطول قليلاً من متوسط الطول، ساقان عبلاوان طويلتان، شعر فاتن منثور، عينان حوراوان، ما منحها مظهراً باهراً وخاصاً، يدان طويلتان رقيقتان وأصابع مدهشة، نعم أكرر قولي لكم: الحب يصلح في أندورا فحسب!

لو شاهدتم كيف قصّت خصلات شعري، كنت أخاف أن أتنفس من شدّة هيامي بها، كانت قد اعتذرت قبل أن تبدأ العمل أن لغتها الإنكليزيّة ليست جيّدة، ومن الصعب عليها أن تتحدث إليَّ، ثمّ عرضت علي أن أشرب كوباً من الشاي أو فنجاناً من القهوة، هل بإمكانكم أن تتصوروا صالون حلاقة سوفييتيّاً يقدم لكم مشروباً؟! للعمل في الجاسوسيّة منافع جمّة. تحكّمت بأدواتها برشاقة واضحة، وظلّت صامتة أثناء العمل، ما زاد إعجابي بها، ربّما لو أتقنت الإنكليزية، لفقدت شيئاً من سحرها، فقد تدخل في ثرثرة مجانيّة، وتظهر غباءً يشوّه جمالها الخارجي! أما على هذه الحال فقد ظلّت محتفظة بهيبتها وغموضها، وأنتم تعلمون بلا شك أن على الكثير من النساء اللواتي لا يرغبن بالظهور بلهاوات أن يقلّلن قدر الإمكان من الكلام في حضور الرجال، تاركين المجال الأكبر لحديث

العيون، وطاقة الجسد، والسحر الداخلي الخفي! لا، لا أريد أن أقول: إن ليلي تمكنت من تقديم نفسها إليّ وفق هذه الطرائق وهي تقص شعري، لكنني فتنت بها صراحةً، حتى إنني نسيت لفترة ما السيدة أوفرا مانديل، ومخاوفنا وزملاءنا المنافسين!

وإذا قلت لكم: إنني نسيت مهمتي المكلّف بها فلا تصدّقوني تماماً، وخيراً تفعلون فأنا ما نسيتُها قط وتحتَ أي ظرفٍ كان، لقد كانت المهمّة الأقذر في عملي الاستخباراتي كلّه!

بعد أن أنهت عملها ابتسمت لي بمودّة وتناولت مرآة كبيرة وضعتها خلفَ رأسي وحَرّكتها لأرى شكل القصّة من كل جهة، ما ترك عندي انطباعاً مُريحاً. شكرتها بكل سرور واتجهتُ إلى الصندوق لأدفع الأجرة، ولا أذكر تماماً كم دفعت – خمسة وعشرين، ثلاثين دولاراً؟ لكنني فعلتُ ذلك بحبور.

عند الوداع سألني كثيراً هل أعجبني الصالون والعمل.. وأهدتني ليلي الفاتنة بطاقة تعريف بصالون الجمال ذاك ووقّعت عليها، وقد عرفتُ من الجزء المطوي من البطاقة التي تحملُ صورةَ امرأةٍ فاتنة أن الصالون يقع في شارع بونفينتورا أرمينغول، وكي لا يحدثَ خلط في الأمور سأذكر لكم العنوان بالإنكليزيّة، وإذا ما حدث أَنْ زرتم هذهِ البلاد كي تستجمّوا

فـــاكتبوا العنـــوان كـــاملاً: دولـــة أنـــدورا – العاصـــمة – شارع Bonaventura Armengol, LocaL3- أصبحَ بإمكـانكم أن تسـافروا إلى برشـلونة أو تولـوز بالطـائرة، ثم تسـتقلون البـاص إلى أندورا والأمرُ ليسَ مُكلِفاً إطلاقاً.

ما عكّرَ متعتي قليلاً، حين كانت أصابع ليلي تعبثُ بشعري هو صورة أنتشيللي الشرير التي كانت تظهرُ أمامَ عينيَّ ثم تختفي، ولكنني لم أُعرْ ذلك الوجه المقيت اهتماماً كبيراً. حين خرجتُ إلى الشارع تبينتُ أن أنتشيللي كـان قـد أمضـى وقتـه في محـل بيـع الأسـلحة المجـاور هنـاك كانـت تعـرضُ قـواذف يدويّـة قديمـة مدهشـة – قويّـة وجميلـة، عُرضـت بطريقـةٍ تشـابه مـا يعرض في متحف فن القتال المعاصر.

لا يعرف الكثيرون أن هـذهِ القـواذف تتسلّح بها منذ زمن القـوات الخاصـة للكثير من دول العالم.

وسِرّ ذلك أن معظم المسدّسات لا تصيب الهدف بدقَّة حين تزيد المسافة على مئة متر، في حين يستطيعُ القـاذفُ القـديم الحقيقـي ذلـك. كمـا أن طلقتـهُ قـادرة علـى اخـتراق واقـي الرصـاص إذا لم يكـن طبعـاً علـى شـكل صفائح حديد، ولكنّها تمزّق أسلاك الطبقة الواقية.

كـانَ أنتشيللي يقـف مسروراً وهـو ينظـر إلى أحـد القـواذف. أُدركُ لمـاذا هـو

هنا! ليضمن لنفسهِ الدليل على وجودِهِ في هذا المكان وفي وقت محدد، وليراقبني أيضاً في الوقت نفسه دخلت إلى المحل مبتسماً لصديقي الأمريكي وأنا أقول:

- تشاهد القواذف؟

أشارَ إلى قاذف الشركة الإنكليزيّة "بارنيت" وهو يقول:

- نعم، هنا نماذج مهمّة جداً.

سألتُهُ:

- ألا تخاف؟

- ممَّ؟

- فجأةً قد يقتلونَ شخصاً ما باستخدام أحد هذهِ القواذف؟

ضحكَ:

- لا، لا أخاف. أنا لست مجنوناً كي أشتري قاذفاً حربيّاً في هذهِ المدينة الصغيرة، سيجدونَ القاتل بعد نصف ساعة من وقوع الجريمة.

- إنكَ حذر!

نظرَ إليَّ ببرود:

- بماذا فكرّتَ إذاً؟

كانت صلعتُهُ ظريفة وواضحة، فمازحُتهُ قائلاً:

- أنا معكَ تماماً. هنا يوجد صالون حلاقة رائع ألا تريد قص شعرك؟

ضحكَ ضحكة ساخرة:

- لا، أشكرك. كان شعركَ الطويل يزعجك على ما يبدو؟!

- نعم فقرّرت أن أقصِّرهُ.

- أما أنا فما زلت أفكر بتلك الثنائيات الغريبة التي اقترح بول الصغير تشكيلها؟!

إنّهُ لا يعجبني أبداً.

- أما أنا فيعجبني، لكنني في هذهِ الحالة موافق على رأيك، ثُمَّ تجاذبنا أطراف الحديث بجملتين أو أكثر وسارعتُ عائداً إلى الفندق.

أنتشيللي هذا شخص ذكي مع أنّهُ ابن عاهرة؛ هو فحسب قادرٌ أن يسبب لي الكثير من الإزعاجات في اندروا الصغيرة، أما الآخرون فهم أقل خطراً. قد يكون رأيي هذا ناتجاً عن معرفتي الجيّدة بسيرتِهِ السابقة، وإن بدوتُ متحاملاً قليلاً عليه. أنا أعرفُ عنهُ من الأمور ما لا يعرفه زملاؤنا المشاركونَ في نزهتنا السعيدة إلى أندورا.

كان وقت العشاء. لم يحصل هذهِ المرّة أي شيء غير متوقّع ، اجتمعنا نحن الستة على طاولة العشاء. جلستْ إلى رأس المائدة السيدة أوفرا الرائعة. إلى يسارها جلس الزوج الذي تمكّن من الوصول في موعد العشاء،

صاحبانا "الهاربان": لي وحسين. إلى يمينها جلسنا أنا وبول الصغير وقبالَتَها جلسَ أنتشيللي. وبقي مقعدانِ واحد إلى اليسار والآخر إلى اليمين شاغرين؛ بدا ذلكَ كتذكير شرير بالمغدورين! كأن إجراءاتنا قد أثّرت بصورةٍ ما في سلوك القاتل!. أنا وأنتشيللي راقبَ واحدنا الآخر. لي وحسين انشغلا بنقل أمتعتهما من فندق "نوفوتيل" إلى "روك بلانك" أوفرا كانت ترتاح، وأمضى بول يومَهُ في البار، على حد زعمِهِ! بقي أمامنا يومان اثنان فقط! ولعلّ كلاً منا قد شعر أن وقت الأزمة مضى. وقد يكون القاتل المجهول فَهِمَ أنّه أفرَطَ، ورأى من الأفضل له أن يتراجع لبعض الوقت. وربّما خشي أن يفتضَحَ أمرُهُ. حاولتُ وأنا أنظرُ إلى هذهِ الوجوه التكهن بماذا يفكّر أصحابُها، وما القرار الذي اتخذوه؟

قد يدهشُ بعضكم من اعتقادنا أن القاتل واحد منا؛ ففي المدينة يعيشُ عددٌ كبير من الناس، وليس غريباً أيضاً أن يظْهَرَ قاتلٌ مأجورٌ زائر!!

ولكنَّ محاكمةً عقلية بسيطة تجعلنا نستنتج تعذّر ذلك:

أولاً – لن يستطيع قاتلٌ مأجورٌ زائر للمدينة أن يصل ويتحرك فيها دون أن نلاحظه.

ولا بُدّ لنا أن ننتبه لأي غريب أو أجنبي فالموسم ليس موسم سياحة الآن، وما من أحد في نوادي التزلّج.

ثانياً – نحن لسنا هواة مبتدئين فليس بمقدور أحدٍ إلا محترف أن ينالَ من أحدنا، بل ليس أي محترف. ينبغي أن يكونَ قد أُوتي من القوة والدهاء والتدريب الكثير الكثير، ثُمّ علينا أن نؤكد أن ليس بمقدور أحد من السكان المحليين الدخول على السيدة شيرنير، أو قتل جاسوس بحجم الإنكليزي مونيتمير.

إذاً الفاعل محترف من الدرجة الأولى، فمن هو؟ كانَ كُل منا قد أجابَ على طريقته ولكنّ أياً منا لم يكن مُحقّاً تماماً.

أحضروا لنا بعد العشاء الحلوى التقليديّة وبغضّ النظر عن اختلاف مذاقِ كلٍّ منا، فقد تناولنا جميعاً الجبنة المحليّة والحلوى التي تقدّم عادةً مع النبيذ الفرنسي أو الإسباني وإذا اعتقدتم أن بإمكان أحد أن يصنع ألذ من هذين النبيذين فقد تخطئون، لكنني أستطيع أن أضيف الإيطاليين والجورجيين فنبيذ هذين الشعبين ممتاز، وانتبهوا أنني لم أنس أسسَ الجورجيين مع أنني نسيتُ لوهلة أنهم أصبحوا دولةً مستقلّةً، على أي حال هذهِ بعض قواعدي في العمل أن أتذكر النبيذ وأنسى الدولة! والنبيذُ في النهاية شرابٌ يعجبني كثيراً، أما استقلال جورجيا فشأنٌ يهتم به السياسيون والدبلوماسيّون، وسأفشي لكم سراً: إن الأمرين عندي سيّان!– سواء انفصلوا أم لا، هذا شأنهم، وأنا أعملُ في الخارج، سابقاً خارج الاتحاد

السوفييتي والآن خارج رابطة الدول المستقلة أو الاتحاد الروسي سمّه ما شئتَ! سأستمر في عملي ولا يعنيني ما يفعلُهُ الآخرون، لا تقولوا عني: مستهتر، إنني ببساطة شديدة لستُ وطنياً مُلوَّناً، بل براغماتي وواقعي، وضمن حدودٍ مسموحٍ بها. وفي النهاية لا يمكنك أن تكونَ عميلاً مشهوراً على مستوى العالم ولا تكون خنزيراً. هذهِ استحالة، إذا كنت عميلاً فهذا يعني بالضرورة أنك ابن قحبة، وهذا ما ينبغي أن يتذكّره العملاءُ المبتدئون في أجهزة استخبارات العالم، وبخاصة جهاز استخباراتنا المجيد، إذ تقاليد الخنزرة متوارثة ومنغرسة في أعمق أعماقهِ.

اقترحتُ بعدَ عشاءٍ وافر أن نتمشى قليلاً، وبعد أن تذكرت كيف يعمل قاتِلنا قررت ألا نخرج بمفردنا نحن الاثنان فقد يحدث ما ليس في الحسبان، كأن تموت أوفرا في الطريق فجأة وعندها ستقع المسؤولية عليّ كاملةً، وسيحمِّلونني جريمتي القتل السابقتين أيضاً، مع العلم أن التنزّه مع أوفرا يمكن أن يرفع المزاج عالياً وحتى لرجل مثلي! ولهذا أجلّت نزهتنا وحيدين حتى يعبر اليومان الباقيان لنا، وعندها نفعل ما يحلو لنا إن بقينا طبعاً على قيد الحياة، وأنا أشك في ذلك، ولحسن حظي أبدى أنتشيللي حماسة للخروج معنا، ثم تلاه بول، فخرجنا للنزهة مجموعة تربط بين أعضائها علاقة "حميميّة".

ساد صمت لعشر دقائق، كنا خلالها ننظر واحدنا إلى الآخر بكثير من الشك. قال أنتشيللي غيرَ قادر على تحمل هذا الصمت:

- أيها السادة الوقت مناسب كثيراً للحديث فيما نحن فيه!

سألتُه بخبث وأنا أغمز أوفرا:

- آمل أنك لن تقوم من جديد بالبحث عن القاتل الغامض؟!

- لا تقلقوا – قال وهو يبتسم؛ إنه مخلوقٌ قادر على منح النساء أجمل الابتسامات – هيا لنتحدث بجديّة، نحن الأربعة أوروبيّون، يجب علينا على الأقل أن نتَّفق على استخدام طرق حضارية حتى في خصامنا!

- من هو الأوروبي؟ – دققتُ كلامهُ – أمريكا حسب معرفتي، ليست أوروبيّة أبداً، فكيف هي الحال مع إسرائيل، وحتى أنا قد لا أكون أوروبيّاً، ذلك أنني ولدت في شمال كازاخستان وهي منطقة آسيوية. يمكن لبول فحسب أن يعد نفسه أوروبياً!

اعترضت أوفرا:

هو أيضاً لا يعدّ أوروبيّاً خالصاً فقد ولد في كاليدونيا الجديدة.

إذاً صحيح ما يقولونه عن أنّ أفضل بنك معلومات تجده عند الموساد، فمن غير الممكن أن يكون لديك عملاء في كل مكان ولا تمتلك مثل هذه المعلومات، لقد ارتبك بول قليلاً وحدّق بـ أوفرا باهتمام شديد:

- قدُّمت لك معلومات مهمّة على ما يبدو – قال بول غير مسرورٍ. مشى النمل على جلدي، أما أوفرا فلم تتأثر ولم تخف!

- لا. مصدر معلوماتي ليس استخباراتيّاً. لدي في بيتي كتاب يتحدّث عن جزر كاليدونيا الجديدة. أنت مختص بعلم النباتات، وتلك مهنتك الأولى وقد أصدرت كتاباً في هذا المجال منذ عشرين عاماً.

- عزيزتي السيّدة مانديل – قال بول الصغير بطريقة رسمية – أتصور أنك أول شخص في حياتي لم أقدّره حق قدره. اسمحي لي أن أشكرك جزيل الشكر على اهتمامك الكبير بشخصيتي المتواضعة.

- لم نُنْهِ حديثنا بعد – قال أنتشيللي ممتعضاً – يجب علينا بالرغم من كل شيء أن نحاول مراقبة هؤلاء الآسيويين باهتمام.

سأل بول:

- ماذا تقترح بالتحديد؟

فأجبت أنا وقد فهمت ما عناه الأمريكي:

- إنه يعني أن علينا تحديد من منهما هو القاتل! لكن بأيِّ طريقة نستطيع فعل ذلك؟ ولماذا الآسيويون دون غيرهم؟ لا تعجبني شكوك السيد أنتشيللي.

- وأنا لا يعجبني أنك تكذب – ردّ أنتشيللي مباشرةً – الجميع هنا

يعلمون أنك ولدت في لينينغراد، ولا يعنينا أن نستمع إلى سيرة حياتك المزيفة!

- برافو جهاز استخباراتك يعمل بامتياز – قلت له.

- توقفوا عن الجدل – اقترحت أوفرا – ينبغي أن نفعل شيئاً. أنا لا أخاف ولكن لا يعجبني كيف قتلوا إيلزا. هناك ما هو غير مفهوم، غير طبيعي لم يكن باستطاعة القاتل أن يخنقها بالمخدّة بتلك البساطة أنتم تعرفونها جيداً، وعدا عن كل ذلك لم تكن لتفتح الباب لأي شخص كان. لا بدّ أن يكون القاتل قد ارتكب خطأ ما، علينا التفكير بالأمر.

صمتنا نحن الرجال الثلاثة، لا أعرف ما الذي علينا أن نقوله.

- فلنذهب إلى البيت – اقترحت عليهم – وإلا فسيعتقد صديقانا الآسيويان أننا نتآمر عليهما حقاً!

قال أنتشيللي:

- سأدخل لأشرب الماء، هل ستأتي معي سيّد ليجينسكي؟ نحن مرتبطان بحبل واحد.

- لا أجبته، لا أريد المزيد من الماء، لقد شربت كثيراً على العشاء.

- أما أنا فسأذهب مع السيد أنتشيللي – قال بول ذلك ملبّياً الدعوة – الظمأ يعذبني.

- عقّبت أوفرا فجأة:

- لقد عذب الظمأ كثيراً السيّد مورتيمير آخر مرّة!

استدار أنتشيللي نحوها قائلاً:

- ماذا تريدين أن تقولي؟

- كونا حذرين أيها السيدان – نصحتهما السيّدة الشابة –

عودا إلينا بسرعة. نحن سننتظركما على هذا المقعد.

- اتفقنا. انطلق أنتشيللي وبول إلى الفندق، أمّا أنا والسيدة مانديل فتوجّهنا نحو المقاعد الجميلة المتوضّعة أمام الفندق، وجلسنا على أحدها.

- قالت السيّدة مانديل وهي تنظر إلى السماء:

- الهواء رائع، طقس مدهش هذه الليلة.

قلت لها:

- إن أندورا تعجبني كثيراً، ولولا جريمتا القتل لكان من الممكن معاشرة النساء والاستجمام!

استدارت نحوي:

- وهل أنت قادرٌ على المعاشرة؟ سألتني أوفرا بصوتٍ خافت!

- هل تقصدين شيئاً محدداً؟ فلتذهب إلى الجحيم تلك الحادثة في دلهي.

أدركتُ مباشرةً ما قصدته، وربّما كان عليّ أن أتظاهر أنني لم أفهم، غير

أنني لم أتمكن من ذلك!

سألتني:

- كنت في الهند منذ خمس سنوات؟!

بالطبع؛ يفترض أنها سمعت بتلك الحادثة. وتمتمت قائلاً بصوت مسموع وأنا أزيح بوجهي جانباً: حياتنا تشبه تماماً حياة نجوم هوليود، كلنا نتحرك تحت الضوء الكاشف لأجهزة الاستخبارات المتصارعة. ثمّ رفعت صوتي:

- إنني أفهم عمّا تتحدثين، لكن حينها لم يحدث شيء، اكتشفت أن تلك المرأة لم تكن امرأة فهربت! شاهدني الجميع وأنا أدخل إليها، ثمّ أفرُّ هارباً بعد خمس دقائق لذلك انتشرت الأقاويل والشائعات.

قالت أوفرا دهشة:

- تريد أن تقول: إن فرانسوازا ليست امرأة ؟! لقد كانت شديدة الجاذبيّة!

- قبل أن تخلع ثيابها – قلتُ بسرعة – الأفضل أن تشاهديها عن بعد. لا توجد أيّة فرانسوازا إطلاقاً، كانَ ذلك الكائن رجلاً حقيقياً، بملامح امرأة متطوّرة. تصوري إذاً ما الذي دفعني للهروب؟!

ضحكت أوفرا دون ضجيج:

- هل هي الحقيقة، أم إنك اختلقت القصّة الآن؟

- يمكنك أن تتأكّدي هذهِ الليلة – وشوشتُها وأنا أنحني نحو شعرها الفوّاح

فسقطَ شيءٌ من جيبي، انحنيتُ لألتقطه، وفي اللحظة نفسها سمعتُ صوتَ طرقة خفيفة على ظهر المقعد حيثُ كنت أتكئُ قبل برهةٍ جاءت ردّةُ فعلي سريعةً جداً؛ انبطحتُ أرضاً وتمكنتُ في الآن، نفسي أن أرمي أوفرا إلى جانبي!

- لوثتُ بنطالي – أعلنتِ المرأةُ منزعجة – أنت مجنون رودولف، أنا لم أقل لك أن بإمكاننا ممارسة الجنس هنا مباشرةً فوق العشب وأمام الفندق!

- انظري – وأشرتُ إلى ظهر المقعد.

الرصاصةُ بعد أن اخترقت ظهر المقعد سقطت خلفه على الجانب الآخر.

رفعتُ مسدّسي. نهضت أوفرا وهي تتلفت إلى الخلف:

- من يكونُ هذا؟

- لا أعرف، لكن قاتلنا يخطئُ للمرّة الأولى على ما أعتقد. أطلقوا النار من الطابق الثالث وأشرتُ إلى النافذة، الآن نعرف بالتأكيد أن عميلين اثنين بريئَيْنِ من تهمة القتل: أنا وأنتِ. انظري أعتقد أن الثالث يركض وبالفعل كان أنتشيللي يركض نحونا، صرخَ قائلاً:

- ماذا يحدث؟

- سألتُهُ:

- ألم ترَ شيئاً؟

- شاهدتُ كيف سقطتما بشكل جميل على العشب أنتَ وسيّدتنا ماندیل.

ماذا يجب أن أرى أيضاً؟

- لقد أطلقوا من الطابق الثالث – وأشرتُ إلى النافذة – هذا يقدّم معلومات مهمّة ابقيا هنا وراقبا النوافذ. أطلقوا النار إن لزمَ الأمر، لكن كونا حذرين؛ مع القاتل سلاحٌ بكاتم صوت!

- سأذهب معك – قالت أوفرا.

- الأفضل أن تراقبا معاً، حتى لا يخرج أحد من هنا –

صرختُ وأنا أسرعُ نحو الفندق – تفقّدا إلى الطرف الآخر من الفندق! نظرَ البوابُ المرعوبُ إلى مظهري المفزع ولكن لم يقلْ شيئاً. أعتقدُ أنه سيسرع الآن لاستدعاء الشرطة، قفزتُ على درجات السُّلّم إلى أعلى. في الطابق الثالث كان كل شيء هادئاً، باب الغرفة المعنيّة كانَ مغلقاً. قرعتُ بإلحاح. أحدهم كان يصعد السلم بسرعة. "أعتقدُ أننا أخيراً سنمسكُ بالقاتل" كان ذلك صوت بول الصغير يأتي مكتوماً.

الفصــــل الخـــامـس

- لن أذهبَ من هنا هذهِ المرّة حتى نجدَ القاتل. كان صوتُ القوميسار يرجُّ أركان المكان وكأنّه يريدُ أن يبدأ التحقيق على طريقة محققي الجستابو. كان ينبغي أن تروا وجهَهُ عندما ظَهرَ في الفندق، كنتم أشفقتم عليه. لا بُدّ أنهم أيقظوه وأخبروه أن شخصاً ثالثاً قد قُتلَ في الفندق، وَصَل إلى الفندق بسرعةٍ ملحوظة بمرافقةِ رجال شرطة دولتِه الصغيرة جميعهم، جلسَ أمامنا نحنُ الخمسة عابس الوجه، حاسِمَ الإرادة، مُرهقاً لم يأخذ القسط الكافي من النوم.

نعم، نعم أنا لم أُخطئْ في العد، بقينا خمسة أشخاص فقط. أنا مُحدثكم، وجميلتنا السيدة أوفرا مانديل، وطبعاً ابن العاهرة جوليو أنتشيللي، والصغير بول وحسين، أما لي تسزيون فلن تسمعوا صوته بعد الآن، لقد أطلقوا عليهِ النار مباشرةً في غرفتِهِ، التي اقتحمتُها أنا وسلاحي بيدي، هذا السلاح الذي لا يوجد اختبار دقيق يمكن أن يثبت أن الصيني لم يُقتل به!!

سلاحٌ آخر... سلاح المرحومة إيلزا شيرنير.. وجدوهُ مع كاتم صوت إلى جانب جثّة القتيل وقد أطلقوا النار علينا أنا وأوفرا منه أيضاً، صحيح أن أي تحليل تقني لم يتم بعد ولكن مُجرّد النظر إلى المسدّس والطلقة بالنسبة لنا كانَ كافياً لمعرفة ذلك. وهكذا ها نحن وأمامنا يجلس قوميسار الشرطة غاضباً، ويقسم أنه سيقبض على القاتل.

- حدّثوني أين كان كل واحد منكم وبالتفصيل ودقيقة بدقيقة. لم يكن يتحدّث بقدر ما كان يهرّ هريرَ حيوانٍ لاحِم. لكننا لم نكن خائفين. الأصح لم نعد خائفين. كان ذلك قبل قليل حين صرختُ وعدوتُ إلى الغرفة وخلفي الصغير بول وخلفه حسين، عندها كنا جميعاً في حالة خوف، وفي الأسفل أمام الفندق وقفَ جوليو وأوفرا. كان الخمسة يحملون مسدساتهم وواحدهم يحدق في الآخرين...

أما الآن فهرير هذا القوميسار لا يخيفُ أحداً، إنّهُ أقربُ إلى غضبِ الممثلين الهزليين... نعم. اسم عائلة القوميسار كانت تستدعي الضحك. فهي كثيرة الأحرفِ باللغة الفرنسيّة الأم، لكنّها باللغة الروسيّة مكوّنة من حرفٍ واحد – (او – O) . وهكذا فقد بدأ القوميسار ذو الحرف الواحد يحققُ بجرائم قتل زملائنا وهي مهمّة ليست سهلة كما ترون!

- هل تعتقدون أن ذلك سيساعدكم على إيجاد القاتل أيّها القوميسار؟ سأل بول بنبرة ساخرة، علينا أن نقدّر بول حق قدره، إنّه حين هرعَ إلى غُرفة لي حاملاً مسدّسه ما كنتُ في وضع يجعلني أفكر بطبيعتِهِ، كان متوتراً بما فيه الكفاية للضغط على الزناد، لكنّه كان محترفاً واستطاعَ تقدير الوضع جيداً، كان مسدّسي حينها في يدي. بينما مسدّسُ القاتل مرميٌّ إلى جانب الجثّة.

- إنني أعرفُ كيف أجري التحقيق أيّها السيد — قالَ السيد (او) مُكشِّراً باللغة الفرنسية – لا أحتاج لأن تعلّمني!

ثُمَّ توجّه إلينا بإنكليزيّةٍ جيّدة:

- هيّا لنبدأ الحديث، وليقل لي كلٌّ منكم أين كان لحظة وقوع الجريمة، وبالتفصيل لحظة بلحظة ولنبدأ معكَ سيّد حسين. أعتقدُ أنكَ انتقلتَ مع القتيل إلى هذا الفندق أليسَ كذلك؟

- نعم – أجاب الإيراني متوتراً بعض الشيء.

- لماذا لم يعجبكما الفندق الأوّل؟

- الجميع يعرفون – أشار حسين نحونا – لقد قَرّرنا أن نتوزع إلى أزواج أو ثنائيات! ونقوم بمراقبةِ بعضنا بعضاً، كي لا تقع جريمة جديدة.

- وهل راقبتم جيداً؟ – كان صوت القوميسار غير مريح أبداً.

- ليس تماماً، لقد وصلنا إلى هذا الفندق وأعطوا كلاً منا غرفةً؛ أنا في الطابق الرابع، ولي في الثالث، جلسنا بعد ذلك قليلاً في البار في الطابق الأرضي ثُمّ صعدنا إلى غرفتينا. بعدها لم أرَ السيد لي.

- لو تعلم كم بدأت أمقتُ مجموعتكم السافلة هذهِ – زفَرَ القوميسار – الوثائق لدى الجميع جيّدة، الوجوه هادئة، والأشخاص الثمانية من دول مختلفة.

ماذا تفعلون هنا أيّها السادة؟! لا تجيبوا! أعرف أنكم تجار لكن ما لا يعجبني هو أن ثلاثة منكم لن يعودوا من أندورا إلى بيوتهم. لم تحدث جرائم قتلٍ في تاريخ هذا البلد، مثلما حدث منذُ حضوركم!

سألته أوفرا:

- تعتقد أننا نحن المذنبين في ذلك؟

- أنا أعتقد أن المذنب الأول في هذا هو أنا نفسي. كان علينا طرد كل

التجـار الـذين قـدموا إلى أنـدورا مباشـرةً بعـد جريمـة القتـل الأولى، لكنـني احتجـتُ إلـيكم كشـهود في القضـيّة. رُبّمـا أحـبَّ السـيد مـورتيمر بالفعـل شـربَ السُّـم قبـل النـوم كمـا أكّـدتم لي جميعـاً، لكـن بعـد الجريمـة الثانيـة أصـبحتم كلكـم في قفـص الاتهـام، وكـان علـيّ أن أحقـق معكـم واحـداً واحداً، ولذلك أنتم مازلتم في دولتنا التي لم تشهد هذا العدد من جرائم القتل المتتالية من قبل! أنا اليوم لا أبحثُ عن القاتل بين سكاننا المسالمين ولكـن بينكم أنتم، مـا مـن شـكٍّ عنـدي أنّه واحدٌ منكم! سمعنا بصـمتٍ حديثَ القوميسار الطويل.

- وبالإضافة إلى ذلك – منهياً حديثه – تبيّن أن كلَّ واحدٍ منكم يحمل سلاحاً وتحققتُ من أنّ لديكم التصاريح والوثائق اللازمة لحيازة السلاح وفق الأصول، لكن عليكم اليوم أيُّها السادة أن تسلموا كل ما لديكم من مسدّسات أو سواها ويمكنكم استعادتها يوم تغادرون بلدنا وعلى الحدود.

"يـا لـهُ مـن غـبي – فكّـرتُ – إنـه يعتقـد أننـا لـن نَقْتُـلَ إلا باسـتخدام المسدّسات. مع أنهّا الوسيلة الأخيرة التي يمكن أن نستخدمها؛ فالمسدس حتى مـع كـاتم صـوت يحـدثُ الكثـير مـن الضـجيج، ويصـعبُ إخفـاؤه، ويسـهل تحديدهُ، لكـن مـادام السيد (او) يريدُ ذلك فنحن معه وسنسلّمُهُ مسدساتنا لعلَّ ذلك يُريحُه!" تابع القوميسار تحقِيقهُ:

- سيد حسين، كنتَ جالساً في غرفتك عندما سمعتَ الضجيج؟

- كنـتُ مسـتلقياً في غـرفتي – صـحَّحَ لـه حسـين – وأشـاهد التلفزيـون. بالمناسبة كانت اللعبة لفريق برشلونة".

- هل خسروا أم ربحوا اللعبة؟ بدا القوميسار أبلهَ معتدّاً بنفسهِ فقد ظن أنه سيمسك الإيراني من رقبتهِ بناءً على إجابته!

ابتسم حسين وقد فهمَ اللعبة:

- كانت النتيجة عندما هرعتُ إلى الأسفل (واحد – صفر) لصالح الإسبان، لم أتمكن من معرفة الحصيلة النهائيّة، لأنني لم أستطع متابعة المباراة حتى النهاية.

- هل لديك شهود على ذلك؟ سألَ القوميسار.

- لا. لديّ على ما أعتقد دليل. كنت أتحدّث بالهاتف مع إيران لحظة وقوع الجريمة وبإمكانكم التأكد من ذلك من خلال شركة الاتصالات الهاتفية لديكم. تحدّثتُ طويلاً، ربّما أكثر من عشر دقائق وخلالها على ما يبدو قتلوا زميلي.

- وكيف لكَ أن تعرف متى قتلوه؟ لم يعد القوميسار يفكّر بإمساكِ حسين من خلال كلماتِهِ، لكنّه كان يسأل فحسب!

ابتسم حسين ابتسامة ساخرة وأجابَ بشيءٍ من اللامبالاة:

- شاركتُ في حروب كثيرة، وأعرفُ كيفَ يبدو الشخص الذي قُتلَ لتوه! وعندما وصلتُ الغرفة كان هناك عدّة أشخاص ومن بينهم السيدان "بول وليجينسكي"، وأؤكد لكَ أن السيد لي قُتِلَ قبلَ ظهوري بدقائق معدودة ذلك أن جسدَهُ كان ما يزالُ دافئاً.

عقّبَ القوميسار منزعجاً:

- كان باستطاعتكَ قتله، ثم التحدّث مع إيران بالهاتف.

- كان باستطاعتي – وافق حسين بهدوء – لكن حينها ما كان لجثّته أن تظل دافئةً إلى تلك الدرجة، سجّادة الأرض كانت ما تزال تتشرّب دمَ الضحيّة. لا هكذا لا تستقيمُ الاستنتاجات سيّدي القوميسار. لا يمكن أن أكون أنا القاتل.

- حسنٌ – وافق القوميسار – سنعود إلى ذلك. ماذا فعلت أنتَ سيّد ليجينسكي؟ أعتقد أنكَ أوّل من اكتشفَ جثّة زميلك – التاجر الصيني؟

- نعم – أجبتُهُ – وأنا مضطر أن أوافق صديقي الإيراني. قُتلَ السيد لي قبل ثوانٍ عدّة من ظهوري في غرفته. القاتل، على ما يبدو، أطلق عليهِ النار أولاً، ثُمَّ قرّرَ التخلص مني أنا!

أجفلَ القوميسار قائلاً:

- لم أفهم؟!

ما كنتُ أريدُ أن أحدّثه عن الطلقة التي ثقبت ظهر المقعد، لكن الآن لا مفرّ من ذلك.

- ذهبنا نحنُ الأربعة في نزهة – أوضحتُ للقوميسار الغبي وحين عدنا توجهَ السيدان بول وأنتشيللي إلى الفندق لشرب الماء في حين بقينا وأردنا الجلوس على مقعدٍ خشبي أمام الفندق.

- بقيتُمْ، من أنتم؟ دقق القوميسار عبارتي الأولى.

- أعني أنا والسيدة أوفرا مانديل. هل أتابع؟!

- نعم بالطبع.

- جلسنا على المقعد نحن الاثنان، وفجأة سقطَ من جيبي شيءٌ ما،

فانحنيتُ لألتقطه وفي اللحظة نفسها سمعتُ صوتَ شيءٍ ينقُرُ ظهرَ المقعد كانت رصاصة قادمة من أعلى، من غرفة السيد لي. دفعتُ السيدة مانديل وسقطنا على العشب أمام المقعد، ثُمّ أخرجتُ مسدسي وانطلقتُ أعدو إلى الأعلى، الطلقةُ ثقبت ظهر المقعد ويمكنكَ أن ترسِلَ أحداً ليتأكد، أو بإمكانك شخصيّاً أن تتأكد من صحّة كلامي. أعتقد أن القاتل أطلقَ علينا النار بعد أن قَتَلَ الصيني، ولحسن الحظ لم يتمكن من إصابتنا.

سألني القوميسار:

- ولماذا لم تحدّث رجال الشرطة عن الأمر في مكان الحادث؟

- لم أَرَ ذلك ضرورياً، ولاسيما أنني كنت على ثقة من أنني سأراك في حالات تطور الحدث المحتمل جميعها!

- ما الذي حَصَل فيما بعد؟

- قلتُ إنني رفعتُ مسدسي وعدتُ إلى أعلى وكنتُ قبلها بثوانٍ قد رأيتُ السيد أنتشيللي يندفعُ نحونا أنا والسيدة أوفرا، فطلبتُ إليه أن يبقى معها ويذهب إلى الجهة الأخرى من الفندق كي لا يتمكن أحد من الهروب إلى الجبل. صعدتُ إلى الطابق الثالث، وأنت تعرف ماذا شاهدتُ هناك. كان المسدس الذي أطلقوا منه النار مرمياً على الأرض إلى جوار الجثة.

- ألم تلاحظ أي شيء غير اعتيادي؟

- لو شاهدت لحدّثتكم بالتأكيد. لكن مع الأسف لم أرَ شيئاً. لقد خرجَ القاتل فيما يبدو لي من خلالِ مخرج الطوارئ في نهاية الممر.

- لماذا تعتقد ذلك؟

- لقد رأيتُ كيفَ أقفلَ أحدهم باب الطوارئ عندما وصلت إلى الممر، لكنني لم أربط هذا الأمر بإطلاق النار نحوي. فهمتُ الآن أنّه كانَ عليَّ أن أركض باتجاه ذلك المخرَج.

- فهمتَ ذلك مُتأخراً – تمتم القوميسار – سيّدة مانديل.

هل تؤكدين صحّة كلام زميلك؟ هل كنتما فعلاً معاً عندما أُطلقَ الرصاص؟

- نعم – هزَّت أوفرا رأسها – بإمكانك أن تعاين المقعد، أثر الرصاصةِ واضح.

- هل سمعتِ صوتَ إطلاق الرصاص أو شاهدتِ أحداً ما؟

- لا، سمعتُ نقرة متميّزة، ومباشرةً دفعني السيد ليجينسكي.

- تدريبُكَ جيّد سيد ليجنسكي – قال القوميسار وهو ينظرُ إليَّ بشك – أين علموك أن تنبطحَ مباشرةً عند سماع إطلاق النار؟ وكيفَ تمكَّنتَ مباشرةً من اكتشاف أنهم أطلقوا النار عليكَ تحديداً؟

- كانت خدمتي العسكرية في القوى المظليّة – أوضحتُ محاولاً تقريباً ألا أكذب على ممثل القانون الصارم – عندها تلقيتُ تدريباً جيداً. بعد أن فهمَ القوميسار أنّه لن يحصلَ مني على معلومات أخرى توجّه إلى بول:

- وأنت أين كنت في هذه اللحظة؟ نجوت أيضاً من إطلاق النار نحوك؟

- لا. كنت في البار أشرب الماء. لدي الكثير من الشهود. لم أخرج من البار. إلى أن شاهدت البواب يركض عبر البار منزعجاً وفزعاً وهو يصرخ:

إن شخصاً مسلحاً مرّ من جانبه مسرعاً وانطلق إلى أعلى. البواب كان يعرف بجريمتي القتل في فندق "نوفوتيل" وقال: إن الرجل المسلح قد يكون القاتل. أجبته أنا أننا سنقبض عليه واندفعت إلى أعلى. هذا كل شيء... صعدت إلى الطابق الثالث ودخلنا إلى غرفة لي.

- ماذا حدث بعد ذلك؟

- أنا كنت أول من دخل غرفة الصيني المقتول بحذر. كان السيد ليجينسكي واقفاً قريباً من الجثّة وأقول لكم صادقاً: اعتقدت أنّه هو من قتله. اعذرني سيّد ليجينسكي؛ لأنني لحظتها لم أعرف أن القاتل نفسه أطلق عليك النار أيضاً.

دخلت بحذر وسألت: "أنت قتلته؟!". لا – أجابني رودولف – هذا هو مسدس القاتل. وقد أطلق عليّ النار من هنا محاولاً قتلي أنا أيضاً".

أخفضت مسدسي واستدعيت البواب ثم استدعينا الشرطة ومباشرةً دخل السيد حسين.

- لم تشاهد شيئاً آخر؟

- طبعاً، لا، لكنت أخبرتكم به. وبالمناسبة لماذا تحقق معي باللغة الإنكليزية. نحن من بلدٍ واحد!

- كي يفهم الآخرون حديثنا بشكلٍ جيد – أجابه القوميسار غاضباً. لم

يكن مجنوناً كما اعتقدت للحظة! أعترف أنه أسعدني بجوابه لبول!

قال أنتشيللي بسرور:

- كالعادة، أنا أبقى آخر وأهم مشكوكٍ به!

- لو كنت مكانك لما سررت هكذا – قاطَعَهُ القوميسار بجلافة – تعتقد سدًى أن جواز سفرك الأمريكي يستطيع إنقاذك. بالنسبة لنا أنتم جميعاً أجانب غير مرغوب بوجودكم هنا.

إنها الانعزالية الأوروبيّة المعتادة...نفسها. لكن عليّ أن أحبطك سيدي القوميسار. الدلائل عندي واضحة ومحددة دقيقة بدقيقة تماماً كما طلبتم: دخلت البار برفقة بول لنشرب ماء؛ فشربت كأساً ثم دخلت التواليت وقد شاهد الجميع ذلك؛ اعذريني سيّدة مانديل على هذه التفاصيل – وانحنى لأوفرا فهزّت رأسها متماسكةً، لم تعجبها نبرته الوقحة مع أن المنطق يقتضي أن يكون الرجل أقرب حلفائها، لكن ماذا نقول فأنتم تتذكرون تلك الفضيحة في أمريكا، عندما اكتشفوا في الأسطول البحري جاسوساً يعمل ضد الولايات المتحدة لصالح إسرائيل؟ ولهذا الأمر دلالاته.

- ومن التواليت ما كان بإمكانك أن تخرج دون أن يلاحظك أحد؟ سأل القوميسار.

- هل هذا سؤال أم إثبات؟ – دقق أنتشيللي – طبعاً لا.

لم يكـن باسـتطاعتي الخـروج دون أن يـراني عامـل البـار وكثـير مـن الزبـائن. عندما خرجت من التواليت ذهبت إلى الخارج في اللحظة نفسها التي توجه فيها السيد بول ليدخل التواليت من بعدي، ولا أدري لماذا لم يحدثك عن ذلك .

ارتبك بول قليلاً، لم أكن لأصدق تأثّره، واحمرّ وجهه قليلاً:

- بحضـور السيّدة؟! قـال بشـيء مـن الخفـر، قولـوا مـا شـئتم لكـن الفرنسـي يبقى فرنسياً، حتى هذا القاتل العريق؛ الصغير بول قدرت أوفرا عالياً لباقته وقالت:

- أشـكرك بـول – وابتسـمت لـه – يسـرني أنـك أنـت بالـذات أصـبحت شريكي!

انحنى بول لها بشكل مراسيمي!

القوميسار لم يفهم وقال غاضباً:

- أي شريك؟، ما علاقة "شريكك" هنا؟

- أنا من سيشرح لك، لقد انقسمنا زوجين زوجين، أو شريكين شريكين، كي يراقب أحدنا الآخر، ويساعده عند الضرورة وما إلى ذلك!

- هل كنتم تعلمون أن جريمةً جديدة ستقع؟ – صرخ القوميسار غاضباً.

- نحن توقّعنا – تملّص حسين بشكل دبلوماسي.

- يكفي – قال القوميسار غاضباً – أكمل سيد أنتشيللي، ماذا حصل بعد ذلك؟

- خرجت إلى الشارع وشاهدت كيف نهض السيد ليجنسكي والسيدة مانديل عن الأرض، اعتقدت لوهلةٍ أنهما أرادا أن يستلقيا معاً على العشب... لم تتمالك أوفرا نفسها وقالت:

- وقح!

- اعذريني أردت أن أقدم للقوميسار صورة دقيقة عمّا حدث. لذلك لم أركض أو أسرع حتى اقتربت قليلاً وأدركت أن شيئاً قد حدث. صرخ ليجينسكي أن نلتفَّ حول الفندق، أما هو فقد ركض حاملاً مسدسه إلى داخل الفندق، استللتُ سلاحي، وجلنا حول الفندق أنا والسيدة مانديل وبكل نزاهة...

لكن لم نلاحظ ما يثير الشك، طفل عبر بدراجته الهوائية إلى جوارنا وقال شيئاً لم نفهمه، وسوى ذلك لا شيء، ثم قدمت الشرطة وأدركنا أن حادثاً محزناً قد حصل من جديد.

- تسمون هذا حادثاً محزناً – لم يتحمّل القوميسار – أحد ما أطلق النار ببرودة أعصاب على زميلكم وأنت تعد ذلك حادثاً محزناً.

- لتكن جريمة قتل – وافق أنتشيللي – لكنها بالنسبة للقتيل لي نفسه هي

حادث محزن وأليم. إنّه لم يعد يعرف مشاكلنا، وهي بكل بساطة لم تعد تعنيه!

- أعددنا قائمة بأسماء النزلاء في الفندق – قال القوميسار متعباً – عددهم أربعة عشر شخصاً. الآن ستذهبون إلى فندقكم وسيذهب معكم السيّد حسين وأمام كل غرفة من غرفكم ستجدون محرساً للشرطة. غداً سنقرّر ماذا سنفعل بكم، لدى كل منكم دلائل قويّة! أما الجثة الثالثة فعلينا أن ننقلها إلى مكان ما. دولتنا ليست قاعة لاستقبال التجار. ستوزع عليكم قائمة النزلاء. وإذا كنتم قد سمعتم عن أحدهم أو عرفتموه أشيروا فقط على القائمة، لعلّ في أندورا قاتلاً مَهُوْساً شاذاً يحلو له أن يقتل من مجموعة التجّار التي تشكّلونها أنتم؟! أنا شخصيّاً لا أومن بذلك وأشعر أن القاتل واحد منكم أنتم الخمسة أيها السادة وتأكدوا أنني سأقبض عليه مهما كلّفني الأمر.

- يمكننا أن نتمنّى لك النجاح فحسب – قلت بحذر. الواضح أنه كان على آخر نفس ، فلم يُعر كلماتي اهتماماً.

- آمل أننا لسنا معتقلين أو موقوفين؟ – قال أنتشيللي مستفسراً.

- لا، – هدأه القوميسار – أنتم شهود مهمون جداً فحسب، وعلينا حمايتكم!

لعلهم كانوا قد أيقظوه بعد أن سكن إلى النوم بفعل جُرعة دواءٍ منوّم وها هو الآن يتناول حبّة دواء أخرى ربّما ليسيطر على التعب والرغبة في النوم، نهضنا من أماكننا وتوجهنا إلى المخرج .

- اسمعوا أيها السادة – نادانا فجأة القوميسار – لا أعرف لماذا أنتم هنا ، وأيّ لعبة تلعبون! لكن ثقوا بتجربتي، لن تكون هذه آخر جريمة قتل أنتم لا ترغبون بقول شيء وتعدونني أبلهَ، والقاتل سيستمر في القتل دون عقاب. فكروا في هذا الأمر أيها السادة.

خرجنا من الغرفة.

- قال أنتشيللي:

- يجب عليه أن يمثّل مآسي شكسبير.

- تماماً – وافقته أنا – والأفضل أن يلعب أدوار البطولة.

الفصل السادس

عُدنا إلى الفندق، وفي الصباح اجتمعنا إلى مائدة الفطور كالعادة، نشيطين وهادئين كما يوحي مظهرنا الخارجي مع أننا نمنا بشكلٍ سيئ، فثلاث جرائم متتالية كان لها أن تترك أثراً عميقاً، لكن خبرتنا وتدريبنا جعلانا نكبتُ قلقنا.

كانت جريمة البارحة مُدبّرةً ومُخَطَّطاً لها بمهنية عالية، ومع أن أسلحتنا الشخصيّة كانت قد انتزعت ليلة البارحة فلم نكن نشعر بالأمان. كنا قادرين على القتل بمهارة وحذق وبطرق متنوّعة ما يجعل كُلّاً منا نحن الخمسة يعلم أن مجرد خطيئة صغيرة ستجعل منه الضحيّة التالية.

بقيتُ أنا وأوفرا في البار بعد تناول الفطور، أما الرجال الثلاثةُ الباقين فكانوا يدخنون معاً في بهو الفندق محاولين ألا يحيدَ أحدهم عن نظر الآخرين وخلال ذلك وغير بعيد عنّا كانت مجموعة من رجال الشرطة الذين كلفهم القوميسار اليقظ تراقب الأمور، كان وجودهم يُسلّينا، واستمرينا بإعطاء انطباعٍ مفادهُ أن جرائم القتل التي حدثت ليست سوى مقطع مُزعج من حياتنا!

- ما رأيك بقوميسارنا ؟ – سألتني وهي تجلس قُبالتي وتحمل بيدها كأساً من عصير البرتقال.

- أبله نموذجي ! – تمتمتُ مجيباً.

اعترضت أوفرا:

- ليسَ إلى هذهِ الدرجة.

- لماذا؟

- لديه أحياناً أفكارٌ ذكيّة، ليس دائماً، ولكن يمكن الوثوق بهِ رودولف.

- تعتقدين أنه سيقبض على القاتل؟ – قلتُ بشيءٍ من الدهشة.

- لا أدري، لكن في جميع الأحوال، لن يتركنا بحالنا. وسيكون من الصعب على القاتل إيجاد ضحيّة له في المرّة القادمة.

- لا تكوني واثقة إلى تلك الدرجة.

- هل تشك بأمرٍ ما؟

- القاتلُ الذي أقدمَ على ارتكاب ثلاث جرائم قتل بالصورة التي رأيناها لن توقِفَهُ مانيكينات الشرطة!

- إذاً تعتقد جديّاً بأن جرائم القتل ستستمر؟

- أودُّ أن أكون مخطئاً، لكن هذا ما سيحدث على الأرجح.

- نعم – قالتها وهي تفكّر – واحدٌ من الثلاثة: بول، جوليو، حسين؟!

سألتُها:

- ألا يمكن أن يكون قاتل مورتيمر وإيلزا هو لي نفسه؟

- ماذا قلتَ؟

- إنّه التشخيص المنطقي الوحيد، بعد مقتل العميلَيْنِ أراد الصيني على ما يبدو أن يقتلني وأخطأ الهدف، ثُمَّ فَهِمَ أن أمْرَهُ قد اكتُشِفَ، فقرر الانتحار.

ألا يعجبكِ هذا التحليل؟

- أقولها بصدق: لا!

- وأنا لا يعجبني أيضاً. كان لي ميتاً عندما اقتحمت غرفته؛ هذا يعني أن من قتلهُ هو أحد زملائنا الثلاثة. واحد منهم بالتأكيد!

وافقت أوفرا:

- نعم، واحدٌ منهم أطلقَ النار علينا بعد أن قتَلَ السيّد "لي".

- هذا ما أدركهُ أيضاً قوميسارُنا. لكن السؤال من هو بالذات قاتلُ السيد لي.

- كل منهم لديه دلائل براءتهِ – ذكرت أوفرا – لكن أحدهم يكذب، والمشكلة تكمن في هذا الكاذب.

- علينا التأكد جيداً من دلائلهم وحججهم حينها فقط نستطيع اكتشاف الكاذب بينهم.

- هل تشك بأحد بالتحديد؟

- بالثلاثة! لا أستطيع الآن أن أستثني أحداً، وحججهم فيها ما تحتمل الطعن.

- كيف؟

- قال حسين مثلاً أنه تحدث بالهاتف عشر دقائق كاملة، ولا أشك أن الشركة ستعطيه كشف حساب؛ لكن ليس بالضرورة أن يكون قد تحدّث طوال هذا الوقت.

- هذا يعني أنّهُ...

- أدركتِ ما أرمي إليه تماماً؛ فإذا كان حسين هو من ارتكب الجريمة فباستطاعتِهِ أن يؤمن مثل هذا الدليل؛ فقد يكون شخص ما اتصل به من إيران، أو هو نفسه اتصل بإيران باتفاقٍ مُسبق ومن ثم ترك الهاتف مشغولاً مدّة عشر دقائق أو أكثر، ولم يتكلّم بل ترك الخط مشغولاً، وشريكه من إيران هو الذي تحدّث، ليضمن لصاحبه الدليل، في حين نزل الرجل إلى الطابق الأسفل وأطلق النار على الصيني، ثم عاد فصعد إلى غرفته وتابع المكالمة وطيلة غيابه كان الشريك يتحدث بإخلاص في موضوعٍ ما. أليس هذا الأمر ممكن الحدوث؟

ردت أوفرا بشيء من الدهشة:

- أنا لم أفكر بذلك! رودولف قد يكون هذا ما حدث فعلاً، وشركة

الهاتف لا تستطيع أن تحدد من هو المتحدّث من إيران وكم كان وقت حديثه قياساً لوقت حديث حسين.

- حسنٌ! ومع ذلك فليس بالضرورة أن يكون حسين هو القاتل! باستطاعة جوليو أنتشيللي أن يفعل ذلك، فقد كان بإمكانه أن يخرج من نافذة التواليت في الطابق الأول إلى الشارع ثم يصعد إلى أعلى ويطلق النار على "لي" ويعود ثانية، ثم يركض نحونا في الخارج. نعم وقد نسيت أن أقول: إنه كان قادراً قبل مغادرة غرفة لي أن يطلق النار علي. ومن الممكن أيضاً أن يكون الفاعل هو بول الصغير!

والاحتمال هنا أكبر، فهو أصغر حجماً من جوليو، وباستطاعته الخروج بسهولة من نافذة الحمام وارتكاب الجريمة.

- لقد خيبت أملي – قالت وهي ما تزال متماسكة – هذا يعني أن علينا ألا نصدّق أحداً منهم؟

- نعم لا أحد منهم – أجبتها مؤكداً.

- وأنت – سألت وهي تنظر في عيني مباشرةً وكادت تقضم شفتها – هل يمكن تصديقك؟!

- لا أعرف – أجبتها بصدق – لكن إذا اعتقدت أنني أطلقت النار على نفسي في اللحظة نفسها من الطابق الثالث وأنا أجلس إلى جوارك فلا

يمكنك تصديقي!

- لا تغضب – ولامست يدي – إنه لأمرٌ جيد في نهاية المطاف أن يطلق علينا ذلك القاتل النار حتى نتأكد أننا كِلَيْنا خارج دائرة الشك.

تنهدت قائلاً:

- فلنعد هذه اللحظة؛ اللحظة الإيجابية الوحيدة منذ وصلنا أندورا.

- يمكن في هذا البلد ممارسة الحب فقط – قالت متذكّرة كلماتي. وهذا كان بمثابة وعد – هل يمكنني الاعتماد عليك رودولف؟ سألتني وما زالت تحدق في عيني.

- بالقدر نفسه الذي يمكن أن تعتمد فيه امرأة على الرجل الذي تحبّه – قلت ذلك وأنا أنظر أيضاً في عينيها مباشرةً؛ وفي النهاية أنا معجب بها كثيراً، وفي هذه الحالة وجهاتُ نظرها السياسية، بل وجهات نظري هي آخر ما يقلقني، وفي نهاية الأمر حين ننظر بعمق إلى المسائل: عن أيّ وجهات نظر سياسية نتحدّث نحن جميعاً واقعيون براغماتيون محترفون ما يعنينا هو عملنا، الذي لا نستطيع من دونه العيش، مثله مثل المخدرات!، والنقود التي يدفعونها لنا مقابل تقطّع أنفاسنا بين القارات والدول، وحتى النقود لا تعنينا كثيراً، اليوم هي موجودة، غداً لا، تمر بين أيدينا أحياناً ملايين الدولارات، ولكن من النادر أن نصبح أصحاب مليارات

ونتقاعد!، الأهم بالنسبة لنا هو العمل ذاته، ومن أجله مستعدّونَ أن نسافر إلى المحيط المتجمّد أو إلى غرينا لديو، وأن نرقص السامبا مع الدببة البيضاء، وأن نطعم وحيدي القرن في إفريقيا، وأن نمضغ اليسروع في مكان ما من أندونيسيا وكل ذلك بهدف الاستمتاع بخداع عميلٍ آخر، وأجهزة استخبارات أخرى والتمكن من تنفيذ المهمة على أكمل وجه.

- هذه هي الغاية الأهم! قد يكون ذلك نوعاً من تصعيد الموهبة، كما هي الحال عند الفنانين والكتاب.

إن الأخطار التي نعيشها – وأرجو ألا تضحكوا – تنعشنا ومن دونها سنفقد متعة العمل، كما أرجو ألا تعتقدوا أنني أستخدم كلمة "تصعيد" للاستعراض فحسب، فنحن نقرأ جيداً كي نستطيع أن ننجح. كما أنني أعلم تماماً أن لا دببة بيضاء في المحيط المتجمّد؟!

- ماذا تقترحين – سألت أوفرا، وتوجهت إليها بالخطاب بصيغة المفرد المخاطب وليس الجمع (أنتم) معتقداً أن هذه الصيغة هي الأقرب إلى الحالة، لكنها لا تعلم ذلك؛ المسألة أن ليس هناك فرقٌ بين الصيغتين في الإنكليزيّة، إذ تخاطب الملكة مثلما تخاطب عاملة التنظيف.

قالت أوفرا بحزم:

- علينا أن نفعل شيئاً، لا يمكننا أن نظل سلبيين!

- هل لديكِ خطة ما؟

- حتى الآن لا، لكن علينا أن نعدّها. أنا وأنت فقط نستطيع أن يثق أحدنا بالآخر. علينا أن نفكر بشيءٍ ما يوصلنا إلى ذلك السافل:

- هل لديك سلاح ؟ – سألتها بصوتٍ منخفض.

- لقد سلّمت سلاحي للقوميسار – فتحت عينيها على اتساعهما، ثمّ هزّت لي رأسها دون أن يلاحظ أحد.

- رائع! هل هو من النوع الجديد؟

- بشكل عام هو سر من الأسرار – هزّت المرأة كتفيها. ذكّرتُ أوفرا:

- إذا بدأنا اتفاقنا بأن يكذب أحدنا على الآخر فلن نصل إلى شيء؛ ما نظامه؟ أعتقد أنك تعرفين لماذا قدمنا إلى هذا المكان!

- لديّ مسدس نامبيرس – قالت أوفرا بهدوء وهي تنظر إليّ باهتمام، لعلّها أرادت أن تتأكد: هل تعرف استخباراتنا شيئاً عن هذا السلاح المتطور.

لم أستغرب. هززت رأسي فحسب. لقد رأيت مثل هذه المسدسات منذ خمس سنوات.

إنها مضغوطة جداً – أقل من عشرة سنتيمترات، يمكن إخفاؤها في أي مكان، في الحقيبة على شكل مشبكٍ، على الثياب عوضاً عن الأزرار، أو

على البذلة، أو على شكل قرط، هو سلاح كامل تقريباً، موجود لدى وكالة الاستخبارات الأمريكية وموظفي الموساد، ونحن أيضاً نعرف مثل هذا السلاح، ونزوّد عملاءنا أحياناً بألعاب مشابهة.

- أتمنّى رودولف أنك لست بلا أسلحة تماماً؟! سألت أوفرا؛ صراحة مقابل صراحة!

قلت لها لغايات متعددة:

- تعلمين أنّ لدينا سكاكين جيدة، إنها مضمونة التعامل بما فيه الكفاية، لديّ واحدة في حقيبتي في الفندق، سأريك إياها، الحمد لله أن القوميسار لم يأخذ السكاكين أيضاً.

- قالت أوفرا ساخرةً:

- أنا أعرف حتى رقمه العسكري، أحضره إلينا في إسرائيل واحد من المصممين العسكريين؛ وإن لم تخني الذاكرة هو 6p25، مستخدم لتسليح الوحدات الخاصة لديكم.

لن أخفي أن مزاجي تعكّر. كيف لا نستطيع إخفاء أبسط أسرارنا، أمام أولئك العملاء. الأمر مزعج. كم من الجهود تبذل، ثم يأتي عجوز خرف فينشر السرّ. قولوا ما شئتم لكن من سبقونا كانوا أكثر حرصاً منا؛ لقد منعوا الكثيرين من السفر حرصاً على أمن البلاد. فليجلسوا في بيوتهم

ويعيشوا بشكل جيد وتظل أسرارنا بأمان!

ابتسمت أوفرا:

- هذا يعني أننا مسلّحان بما فيه الكفاية.

- سيكون من الصعب على ذلك القاتل أن ينال منّا. إلّا إذا استخدم السمَّ بخديعةٍ ما.

- كان علينا أن نطلب من القوميسار تفتيش الغرف جيداً لعلّ بقايا من ذلك السم تُكتَشف عند أحد عناصر مجموعتنا.

اعترضت قائلاً:

- لا أعتقد، القاتل محتال على ما يبدو. سيكون قد تخلّص من ذلك الدليل الفاضح. لا. التفتيش في حالتنا لا يجدي نفعاً. علينا أن نفكّر بإجراءٍ ما يدفع القاتل إلى التوتر وارتكاب خطأ!

- علينا أن نأخذ بالحسبان وجود هؤلاء السادة الذين يحيطون بنا – وأشارت السيدة مانديل إلى رجال الشرطة – إنهم قادرون على إفشال أيّ لعبة سواء قمنا بها نحن أم القاتل المجهول، وقد يبطئون من حركتنا عند اللزوم.

- إن هؤلاء بالذات هم أقل من يشغل بالي – قلت ذلك ملوِّحاً بيدي – هؤلاء جيدون كعارضي أزياء ورئيسهم قليل الذكاء. ربما لأنهم لم يشاهدوا

جرائم حقيقية في بلدهم منذ زمن طويل. أشك أنهم قادرون على استلال مسدساتهم بالسرعة المطلوبة. أعتقد أن المدينة تعرف كلها الآن بقتل ثلاثة من التجّار، وسنجد أنفسنا خلال اليومين القادمين نعيش في جوٍّ من الاهتمام الدائم ليس من قبل هؤلاء الشرطة الأغبياء، ولكن من قبل كثيرين.

- خرج شركاؤنا الثلاثة من بهو البار. حسين كان أكثرهم تجهّماً، اقتربوا منّا.

سألته:

- هل من شيء جديد؟!

أجابني بغضب:

- هؤلاء الشرطة يلعبون على أعصابنا، أردت الخروج للمشي قليلاً، لكنهم طلبوا مني عدم مغادرة الفندق. قالوا: إن القوميسار سيصل قريباً، ولديه خبر مهمّ يخصّنا. استدعوا ليلة أمس فريقاً خاصاً من الخبراء من برشلونة – بينهم مختصّون بالقواذف والبصمات وجنائيون، أي فريق كبير لتقديم المساعدة والقوميسار تسلّم بعض النتائج المهمة.

تدخل أنتشيللي:

- واثق من نفسه هذا القوميسار أكثر من اللازم؛ بدل أن يبحث عن

القاتل، يستدعي من برشلونة جيشاً كاملاً ليساعده، هل يظن أنّه بهذهِ الطريقة يمكن أن يعرف من قَتلَ زملاءَنا؟

- في جميع الأحوال الرجلُ يحاول – أشار بول حذراً – وعلينا أن نعترف أننا في هذهِ الحالة نتعامل مع جريمة قتل غامضة ومزعجة.

- تعتقد أن أحدنا هو القاتل؟ سأل حسين بنبرةِ تحدٍّ.

- أنا متأكد من ذلك – أجاب بول بثقة وألقى نظرة علينا جميعاً.

- وأنا كذلك – مباشرةً عقّبَ أنتشيللي.

- نعم – قالت أوفرا موافقةً.

بقي لي أن أهزّ رأسي مؤيّداً.

ورحنا نحن الخمسة ينظُرُ واحدنا إلى الآخر بحقد!

في هذهِ الأثناء دخل القوميسار البار مزهوّاً، يرافقُهُ عدد من الأشخاص بلباس الشرطة. كان مهتاجاً وبشيءٍ من السرور أعلن وهو بعدُ عند العتبة:

- آمَلُ أيّها السادة أنكم لا تشعرون بالوحشة من دون جريمة قتل جديدة؟!

- لديكَ حِسٌّ فكاهةٍ جهم أيّها القوميسار– علّق بول غير راضٍ.

- بعد التعرّفِ إلى مجموعتكم – أجابَ القوميسار سريعاً – أنا في أشد

العجب؛ إنني حتى اللحظة لم أفقد الثقة بالإنسانيّة. ثلاث جرائم قتل خلالَ يومين، إن هذا كثير حتى على دولة مثل فرنسا يا سيّد بول وأنت تعي ذلك جيداً!

سأل أنتشيللي:

- هل تمكنت من اكتشافِ أي شيء!

أجابَ القوميسار بشكلٍ خطابي:

- تمكّنتُ من تحديد مسألة مهمة جداً، القاتل لم يطلق النار من الطابق الثالث؛ لقد أطلق النار من الطابق الأول، من نافذةِ شرفة البهو المفتوحة نحو السيد ليجينسكي، ومن ثُمّ عَدَا إلى الأعلى وقتل السيد لي، وبعد ذلك رمى المسّدس جانباً واختفى.

سألتُهُ:

- إلى ماذا استندتَ؟

أجابَ القوميسار مسروراً:

- من التحقيق؛ لا يمكن للمقذوف أن يكون له ذلك الخط البياني لو أنّه أطلقَ من الطابق الثالث. لا أيّها السادة تم إطلاق النار من الطابق الأوّل وهذا مؤكّد.

- لكن لماذا؟ سألت أوفرا – لماذا يغامرُ القاتل بهذا الشكل؟ بدايةً يطلق

النار على رودولف ومن ثمَّ يقتل لي، الأمر غير منطقي! كان من شأن أحد أن يلاحظَهُ بعد الطلقة الأولى أم إِنّه لم يكن يهتم بشخصيّة المقتول؛ سيّان لديه الأمران!

- أنا لا أعرف، لكنني أعتقد أن خطةً ما كانت في ذهن ذلك القاتل المهوس، مع أنني لا أستطيع فهم منطِقِهِ الخلاق. أغلبُ الظن أنّه كان بحاجة لارتكاب تلك الجريمة ذلك المساء، لعلّ تمام البدر لحظتها، أثر عليه. كانت ليلة مدهشة فإذا ما شاهَدَ أنَّه عجزَ عن قتل السيد ليجنسكي أصابته الهستريا فقفز إلى أعلى وأطلقَ النار على السيد "لي" فأرداهُ قتيلاً!

قال بول وهو يفكّر:

- استنتاجاتك تثير الاهتمام، القاتل إذاً كان على الطابق الأوّل في البداية؟

- نعم، وأتصوّر أنكما أنتَ والسيد أنتشيللي كنتما هناك! هل أنا مخطئ؟

- إذا كنتَ تشك بي فذلك غباء أيّها القوميسار – أجاب بول بلغةٍ فرنسيّةٍ هادئة – الأفضل أن تتابع بحثك عن القاتل الذي أردى الصيني، لقد عثرتَ على خيطٍ ما يصل إلى الهدف، ويمكن للحظ أن يحالفكَ من جديد البحث ولا تتوقف عندَ ما أنجزتَ. فَهِمَ القوميسار أن بول يسخر

منه. زَمّ شفتيه غاضباً ومضغَ شيئاً ما، وقال:

- عبثاً تهزأ سيّد بول، لقد حدّدتُ تقريباً هوّية قاتِلِ زملائكِ!

الفصل السابع

أخذنا بعد هذا الإعلان نحدّق بالقوميسار، بانتظار كلماته التالية، لكنّه قرر أن يصنع فاصلاً مسرحيّاً تشويقياً، كان مسروراً بما أحدثه فينا ولم يتابع إيضاح ما قاله لنا إلا بعد أن تمتّع مليّاً بهيئتنا المشتتة:

- بعد أن عرفت عن الخط البياني لمسار الطلقة، لم يعد لدي شك بأن القاتل هو أحد التجّار الموجودين هنا، وقررت التأكد بدقّة من صحة وسلامة وثائقكم، فما الذي وصلت إليه أيها السادة؟

توقف من جديد ضمن فاصل مسرحي، ثم أشار إلى بول:

- مثلاً لدى هذا السيّد وثائق مزورة. لا أحد يعرفه في تولوز؛ المكان الذي يفترض أنه يعيش فيه! مساء أمس سألت ابن عمي الذي يعيش في تولوز للتأكد من أن السيد بول بريزي هو فعلاً من أبناء المكان. واتضح أن لا أحد يعرفه هناك. لديك وثائق مزوّرة سيّد بريزي، لست الإنسان الذي تدعيه!

تبادلنا النظرات. عواصف في كأس ماء وكأننا لا نعرف أن وثائق العملاء الذين قدموا إلى أندروا، كلّها غير حقيقية. هي ليست مزورة ولكنها مكتوبة بأسماء غير حقيقية. يا له من نبأ! بدأنا نتبادل الابتسامات. شعر القوميسار من خلال مزاجنا أنه أخطأ في أمرٍ ما، وحار في الأمر.

قال بول بحزم وهو يبدو منزعجاً ويهز رأسه:

- أيها القوميسار ألا يوجد في هذا البلد من هو أكثر حكمة منك؟!

أجاب القوميسار غاضباً:

- سأعتقلك لعدم احترامك ممثل السلطة في هذا البلد، ولأنك دخلت بوثائق مزوّرة وها أنت ذا فوق كل ذلك تملك شجاعة للتصرف برعونة!

قاطعه بول بحدّة:

- يكفي أيها القوميسار خذ رقم الهاتف هذا واتصل للتأكد أنني موظف في الاستخبارات الفرنسيّة، وأعلى منك رتبةً، ثم لا تنس أن أندورا حتى الآن تتبع للرئيس الفرنسي، فأوقف هذه الملهاة!

لم يبدُ الارتباك على القوميسار وأثبت أنه يملك من الحزم ما يكفي:

- يعني أنك موظّف من الاستخبارات – قال مسروراً – وقدمت إلى بلدنا بوثائق مزوّرة. كيف توضح لي ذلك؟

- إنها مصالح فرنسا أيها القوميسار – أجاب بول بحدّة – وهذا يعني مصالح أندورا أيضاً.

- ويمكن أن تكون مصالح العالم الغربي كلّه؟ – قال القوميسار بحسٍّ ساخر.

قال بول راغباً في قطع أي خطٍّ للمصالحة:

- قد يكون الأمر كذلك، يمكنك الاتصال بباريس واستيضاح ما تريده! وأنصحك ألا تتأكد من وثائق زملائي الآخرين فهي صحيحة تماماً وأنا مسؤول عن ذلك.

- ألا ترى أيضاً أن عليَّ أن أجلس فلا أفعل شيئاً – قال غاضباً – إنها ثلاث جرائم قتل أيها السيّد وعليّ التحقيق في الوثائق وسواها؟!

- نعم – وافق بول – فلتحقق، ولكنك تبحث عن القاتل في وثائقنا، وهذه الطريق لا تؤدي إلى أي نتيجة، أؤكِّد لك، عليك التأكد من أمور أخرى تماماً ؛ واتبع الدلائل التي نطرحها بين يديك!

قال القوميسار مُستاءً:

- ليكن، أعطني رقم هاتفك. وهناك أيضاً شرط آخر؛ ستنتقلون جميعاً وهذا اليوم إلى فندق جديد، هناك ستقيمون تحت حراسة رجالنا. لقد قلتم أنكم ستغادرون غداً ليلاً ؛ لذلك سننقلكم إلى ذلك الفندق تحت حراسة رجالنا وستبيتون هناك ليلة واحدة وهذا الأمر لصالحكم. الفندق جيّد جداً وأسعاره مرتفعة، فمن لا يستطيع الدفع فليخبرني الآن، وقد اتفقت مع إدارة الفندق على تقديم حسمٍ خاص للتجار المحترمين، وغداً ليلاً آمل أن تغادروا بلدنا مرّة وإلى الأبد.

سألت أوفرا:

- هل يمكننا أن نعرف أكثر عن هذا الفندق، وأين يقع؟

- ليس بعيداً، هو فندق "أندورا – لا – فيللي"، إنه رائع، تكلفة الغرفة للشخص الواحد أحد عشر ألف بيسيت، أو نحو مئة دولار. هذا ليس سعراً مرتفعاً بالنسبة لرجال أعمال مثلكم!

سأل حسين:

- متى ينبغي أن ننتقل؟

- بالسرعة القصوى، وأرجو ألا يناقشني أحد في الموضوع، وبغضِّ النظر عن الرتبة العسكريّة الأعلى لزميلي الفرنسي فقد قررت أن المكان هناك سيكون أكثر أمناً وهدوءاً.

لن يكون هناك أحد في الفندق سواكم، ومثل هذا الأمر سيجعل مهمّة القاتل أصعب.

لن أسمح بتكرار ما حدث في بلدي في اليومين الماضيين على الإطلاق. لا سجن لدينا هنا ولا مكان لحفظ الموتى يتسع لهذا العدد المتسارع، القاتل أو المتهم سيتم إرساله إلى سجن فرنسي أو إسباني وفق رغبته! كانت الجملة الأخيرة موجّهة إلى بول الذي لم يثق به القوميسار على ما يبدو.

أخذ رقم الهاتف الذي كتبه الفرنسي، طوى الورقة بعناية ووضعها في جيبه

ثم أضاف قائلاً وهو يخرج:

- إذا أردتم أن تعرفوا شيئاً ما عن فندقكم الجديد فيمكنكم الاتصال بالرقم 20773 وهو رقم الاستعلامات.

قال أنتشيللي:

- أظن أن هذا الفندق من مجموعة "ميركوري – بولمان".

التفت القوميسار نحوه:

- أنتم تعرفون ما يفوق معرفة التجّار بكثير، لا أدري لماذا قدمتم إلى بلدي بهذا العدد والتنوّع، لا أشك أنكم ستجلبون الكثير من المتاعب لمواطنينا لكنني أعدكم أنني لن أسمح بذلك.

نظر إلينا الرجال الثلاثة الذين يحيطون به ويلبسون بزّات رسميّة نظراتٍ حقدٍ واضحة، وخرجوا جميعاً، لنبقى نحن، فنناقش الوضع الراهن، ونفكّر بحلّ معقول.

لقد أمسك بنا هذا القوميسار بيدٍ قويّة، وسيمضي الآن ثلاث ساعات وهو يتأكد مما قاله بول، ثم يعود من جديد لينقلنا إلى فندقه كي يعزلنا عن أي مكروهٍ ممكن الوقوع! وفي كل الأحوال لدينا ثلاث ساعات!

- سنغادر غداً ليلاً – ذكّرنا أنتشيللي وكأننا نسينا.

- نعم بالفعل، إذا مرّت الساعات بسلام. ما رأيكم إذاً أن نحتفل بذلك

– اقترحت عليهم – هيّا، نكاية بالسيّد (أو) نتناول طعام الغداء في مطعم جديد في مكان آخر!

قال بول مستغرباً:

- وهل تعرف مثل هذا المطعم؟ ألم تقل إنك أَوَّلَ مرّة في أندورا.

- لم تخطئ. ولكن، عندما صعدنا أمس إلى الأعلى في الشارع الرئيسي لفت انتباهي مطعم "لا لافلير" إنه يقع أبعد قليلاً من فندق "روك بلانك". آمل أن يسمح لنا القوميسار بالذهاب إليه.

- اقتراحٌ جيد – وافقتني أوفرا بحماسة — هيّا نتناول طعام الغداء معاً، كي نقول: إننا تسلينا قليلاً بعد كل ما حدث لنا!

- هل أنت على يقين من أن القوميسار سيسمح لنا بأن نجتمع معاً بعد الآن؟ سأل حسين.

- ستكون سفالة من جانبه – قالت أوفرا منزعجة – نحن في النهاية لسنا على ذمّة التحقيق، ولسنا موقوفين!

- أجاب حسين برزانة:

- كيف لكم أن تعرفوا؟! أعتقد أن لدى القوميسار رأياً آخر!

أعلن أنتشيللي بحزم:

- اتفقنا، سنتناول طعام الغداء في "لا لافيلير"– نكايةً بقوميسارنا الأبله.

صاحب الإنجاز العظيم الذي أتاه من أحد أقاربه في تولوز. سنبقى جالسين هنا مئة عام دون أن يتمكّن من اكتشاف شيء.

سأل بول فجأةً:

- لماذا يريد أن ينقلنا إلى فندق جديد؟ إنه على ما أعتقد يفكّر بخدعةٍ ما.

- هل تعتقد أنه يجهّز لنا مصيدة؟ - قالت أوفرا كمن اكتشف شيئاً.

- أعتقد ذلك. يرغب أن يحدث شيء ما في ذلك الفندق وحينها يستخدم قدراته كلها. أعتقد أنه سافل بكل معنى الكلمة. إنه ولا بد يجهّز لنا مفاجأة في ذلك الفندق.

سأل أنتشيللي بازدراء:

- بأيّ طريقة؟

- لعلّه يريد من القاتل أن يظهر نفسه في ذلك الفندق الخالي إلّا منّا، وحينها يستطيع القبض عليه مستعرضاً مهاراته، وقد تكون هذه مجرّد أفكار لا معنى لها، والرجل كما تعتقدون أنتم مجرّد أبله وعندها سنمضي ليلة أخرى في ذلك الفندق الجديد ونغادر البلاد المدهشة أندورا! تمتم حسين:

- آمل أن تكون محقاً أنهى بول كلامه قائلاً:

- علينا في جميع الأحوال أن ننتظر القوميسار ونطلب منه أن يسمح لنا بتناول طعام الغداء في مطعمك سيّد رودولف.

- وقتنا ضيّق فلنجمع أمتعتنا قبل أن يأتي القوميسار.

– قال أنتشيللي. واستدار ومضى إلى البهو، ثم سار حسين وراءه دون أن يقول وداعاً، تبعهما بول وكأنه يعرف شيئاً عن تقاربنا أنا وأوفرا، فقد ابتسم لنا جاداً وقال:

- كونا حذرين.

- لماذا يبدو دائماً عارفاً بكل الأمور – سألت أوفرا.

- تعتقدين أنه الفاعل؟ هو على أيّ حال أذكى من زميليه الآخرين!

اعترضت أوفرا:

- لا أعتقد ذلك. أنت تكره جوليو أنتشيللي، في الواقع هو ليس كما يظهر في أندورا إنه هنا أكثر هياجاً، رأيته في أماكن أخرى وكان هادئاً ودمه بارد.

- من الصعب الاحتفاظ هنا ببرودة الدم – اعترضت – في حين ترتكب ثلاث جرائم قتل متتالية!

هذا كثير حتى على أشد الناس تماسكاً، هل تعتقدين أن بإمكانه البقاء متزناً.

- لا أعـرف، يمكـن أن تكـون علـى حـق. انظـر إلى حسـين يبـدو لي أنـه الوحيد الذي يخاف هذا القاتل.

- أنت يا عزيزتي لا تعرفين حسين! هو ليس فقط عميلاً سرّياً، إنه قاتل محـترف مثـل إيلـزا شـيرنير. لـدينا معلومـات عـن خدماتـه في جهـاز الاستخبارات الإيـراني، لكننـا لا نعـرف إلا القليـل عـن عملـه السـابق في جهاز التجسس الشاهنشاهي.

- أعترف أنني لا أعلم عنه إلّا القليل جداً – تمتمت أوفرا.

- هل يعقل أن الموساد بجلالة قدره لا يعرف أمراً كهذا؟! – قلت مازحاً

– أنتم تعرفون كل شيء في الكون، ولعلهم يطلبون منكم أن تعرفوا حتى نوعيّة النعل الذي انتعله هذا الشخص في الصغر، ونوعيّة الشاي الذي كانت أمه تفضّله!

- ملاحظات ذكيّة! لكن يجب أن تعلم أن إيران أصبحت الآن الهدف الأول لنا ولم تكن من قبل كذلك. فيما مضى كانت أفضل الحلفاء في المنطقة، وتعاون معنا الاختصاصيّون الشاهنشاهيّون في شؤون كبيرة. لكن كل شيء تغيّر بعد الثورة. وإيران اليوم مجتمع منغلق تماماً، لذلك أصبح من الصعب علينا الوصول إلى المعلومات التي نريدها؛ ولذلك عبثاً تستغرب رودولف أنني لا أعرف نوعية النعل الذي استخدمه حسين في

طفولته!

- نعم، سأعد تقصيرك هذا مسوَّغاً!! ألا تعتقدين أن علينا أن نصعد ونجمع أمتعتنا؟

- نعم فلنذهب.

دخلنا البهو تحت نظرات رجال الشرطة اليقظة، وعليّ الاعتراف أنهم راقبوا كلاً منا بعناية، وإلى المصعد لم ندخل وحدنا، فقد رافقتنا وبشكل عفوي أحد رجال الشرطة، حاول أن يقدم انطباعاً بأنه ضيف عادي في المكان، ناسياً هيئته الرسمية، ونعليه الرسميين، وعلى ما يبدو أن الوقت لم يسعفه لاستبدالهما. وهنا سأقدّم لكم نصيحة مجانيّة: عندما يلاحقكم سراً موظفو أجهزة التجسس، ركِّزوا انتباهكم على أحذية الناس المحيطين بكم، بإمكان هؤلاء استبدال ثيابهم وماكياجاتهم بسهولة، لكن استبدال الأحذية يبقى الأصعب، وغالباً ما يتم فضح هؤلاء المراقبين من أحذيتهم. وقف في بهو الطابق الذي وصلنا إليه شرطي آخر، لا بد أنهم استدعوا قوى إضافية من إسبانيا بعد أن قرروا أن ينشروا هؤلاء على قُطرٍ قد يصل إلى مئة وخمسين كيلومتراً من المكان. نظر الشرطي إلينا بصرامة، لكنّه لم يقل شيئاً. عندما وصلنا باب غرفة أوفرا سألتني:

- هل لديك أمتعة كثيرة؟

- لا – أجبتها بصراحة – حقيبة ليست كبيرة.

- هل بإمكانك الدخول لنشرب شيئاً ما ؟ كان كلامها دعوةً واضحة.

- بكل سرور – خطوت خلفها بجرأة. نظر إلينا الشرطي نظرة تدل على موافقته ولكنه لم يقل شيئاً. لا يمكنه طبعاً أن يمنعنا من التحدّث. ولا سيّما أننا لا ننوي قتل أحد – وهذا مؤكد وإلا فإن هذا الشرطي سيكون شاهداً مزعجاً جداً في المحكمة، وكذلك الشرطي الآخر الذي رافقنا الصعود في المصعد. أعتقد أننا نحن الاثنين قد فكّرنا بذلك قبل دخولنا الغرفة. أقفلت الباب برجلي وقبّلت أوفرا.

- لن تفهموا في النساء شيئاً ولاسيما في الإغراء الحقيقي الحالي إذا كنتم لم تقبّلوا عميلاً سرّياً في جهاز استخبارات آخر، إنه إحساس خليط من الابتهاج والفزع، من المتعة والقلق. نسيت أن أقول لكم: إن العميل يجب أن يكون امرأة، والأفضل امرأة جميلة. متعة أن تنزع ثياب امرأة حلوة، ستشعر كيف تنهمر بين يديك، وكيف تتجمد حين تبطئ الحركة، كيف تستسلم لك أثناء عمليّة التعرية، بالنسبة لي ليس المهم عمليّة الإغراء بحد ذاتها، بقدر تلك الغبطة القصوى التي يولّدها وجود المرأة بين يديك موافقة أن تضع نفسها تحت تصرفك، موافقة على كل حركة من حركاتك، ومستجيبة لإيحاءاتك، لا تخلع ثيابك قبل المرأة أبداً، قرأت في مكان ما أن

ذلك يفعله الضعفاء، آمل أنك لا تريد أن تبدو رجلاً ضعيفاً؟

- عندما يكون بين يديك شمعٌ ولين رقيق ستشعر بالرقة والاسترخاء فحسب، طبعاً بالتلازم مع الشهوة وروحك المتوترة؟ تصوّر أن هذا الشمع سيبرد في أية لحظة ويتحول إلى كتلة قاسية غير متجانسة، ذات نهايات حادة عليك أن تكون لطيفاً ومثابراً، رقيقاً وخشناً في الوقت نفسه. بعد أن تشعر بكل ذلك، حين تدرك ماذا يعني أن تواقع عميلاً لاستخبارات غريبة.

لكن عندما تشعر بذلك تذكر لذّة امتلاكٍ رجوليٍّ إنسانيٍّ بسيط – أستميحكم عذراً – لجسد امرأةٍ فاتنة. نحن الرجال بشكل عام كلنا واحد. سيّان بالنسبة لنا، مع من، وأين ومتى. لكن الأفضل بالتأكيد أن تكون المرأة فاتنة وفي فندق فخم في أندورا، وفي أجمل أوقات النهار، وبالمناسبة أيضاً الأفضل ممارسة الجنس مع امرأةٍ ممشوقة رشيقة، ليّنةٍ وليس امرأة متهدِّلة!، يتدلّى بطنها فوق فخذيها – مع أن الأمرين سيّان عند كثير منّا نحن الرجال.

هو مجرّد كلام، لا تثقوا بي كثيراً، وإلا فمعظم الرجال سيكرهونني. يفترض ألا تعطي الرجال أسرار مهنتك! وإلا فإنك ستورطهم! ومع ذلك فمن الأسرار الخطيرة التي يمكن أن أبوح بها للسيدات فقط: لا تثقن أبداً بما

يقوله، لكنّ الرجل وهو ينزع ثيابكن، ذلك أنه في تلك اللحظات يحسّ كأنه هارون الرشيد، إنه مستعد لفعل أي شيءٍ جنوني من أجلكن، يحسّ أنه الملك سليمان قادرٌ على السيطرة على السموات والأرض لأجلكن!

فإذا ما حصل على ما يريد – انتهى الأمر!

نسي كل وعوده. حتى إنه ينظر إليكن بذهول، كيف كان بإمكانه أن يعدكن قبل نصف ساعة بأنه سيوصلكن إلى البيت! لا لم يكن هو. إنكن تخلطن بينه وبين أحدٍ ما غيره؟! أي ملك سليمان؟! لا نرغب بسماع الخرافات! لقد أمضينا بعض الوقت بصورةٍ رائعة ولسنا بحاجة لأكثر من ذلك... هل هناك بعض الاستثناءات؟! نعم استثناءات صغيرة، وذلك عندما يكون الرجل محباً حقيقياً، فساعتها لن تتبدد مشاعره وأحاسيسه من المرّة الأولى؛ عليك الانتظار بعض الوقت، ربّما بعد اللقاء العاشر يعود إلى طبيعته وهناك من يعتقد أن حالة الهيام والامتلاء بامرأة محددة تستمر عند بعض الرجال مدى الحياة، إلا أنها حالات استثنائية نادرة تؤكد القاعدة فحسب! إن الرجل غير مؤهل لحبٍّ كبير وقويٍّ (والأهم مخلص). إنه بهيمي جداً. الساعتان اللتان قضيتهما مع أوفرا سأظل أذكرهما طيلة حياتي. مضتا سريعاً جداً وكأنهما دقائق. لا شبيه لمكان آخر يحلو فيه الحب مثل أندورا؛ ربّما باريس فقط، لكن هناك أمور مختلفة.... مدارس

من الجنس والمتعة، هناك يحلو لك الاسترخاء طويلاً محدّقاً في السقف وحالماً بدول بعيدة ونساء أخريات باهرات!

وهنا أخبركم بشيء آخر أيضاً حتى لو كان الرجل في أحضان امرأة نادرة ولم يحلم بغيرها، فهذا يعني أنه مصابٌ بالعنّة أو مجنون غارق في الحب حتى أذنيه، والحالة الأخيرة مشكلة في عالمنا المعاصر، عالم الصدمات المختلفة. الاستسلام للحب يضرّ بالعمل وبالعلاقات التجارية والرسميّة وما شابه، ولهذا فالعلاقات مع الزوجات –كقاعدة – علاقات عمليّة، ومع العشيقات – نصف عملية، أما مع السكرتيرات – فهي غير عملية أبداً.

ومع ذلك فليس هناك ما يمنعنا أحياناً من أن ننسى المجموعات الثلاث كلها!! وأخيراً أقول لكم: إننا لو أخذنا بكلام الرجال فسنراهم جميعاً يحلمون بامرأة حيوية ذكيّة، غير عادية ولكنهم في الواقع يبحثون عن جسد رائعٍ في الفراش، وروحٍ خاضعةٍ، مخلصة تماماً لسلطانهم، ويدين ماهرتين تحافظان على النظافة وتطهوان أفضل ما يكون. أما ما يدور في رأس ذلك الكائن فهو آخر ما يعنينا، والأصح لا يهمنا أبداً، كلما كان الفراغ أكبر في رأسها، كانت صورتها أمثل، هل رسمت بشكل صحيح علاقتنا مع الجنس الرائع؟؟ أرجو ألا تبدؤوا بشتمي فأنتم من رغب بقراءة هذه الصفحات، ربّما بفضولٍ وعلى أي حال.

الفصــل الثامــن

- كيـف تـرى هـؤلاء الثلاثـة؟ سـألت أوفـرا وهـي تحـدّق بسـقف الغرفـة، مسـتلقيةً علـى السـرير. كنـت مسـتلقياً بجانبهـا أدخّـن سـجائري المفضّـلة "روثمانز" ومن الجيّد أن غرفة أوفرا مُعدّة للمدخنين وإلا كان عليّ أن أخرج إلى الممر أو الشرفات؛ وهـذا يبـيّن ولـع الغـربيين الأبلـه بصـحتهم وسـلامة بيئتهم، وكأن مشاكلهم الأخرى قليلة جداً. في كثير من الفنادق أصبحنا نـرى غرفاً خاصـة ينزلهـا المـدخنون ولاسـيما في طوابـق محـدَّدة، وقـد منعـوا التدخين في المطاعم والكثير من الطائرات والشوارع، والمكتبات والمسارح، باختصار منعوا التدخين في كل مكان، وهكذا أصبحَ بإمكانكَ أن تموت وأنتَ بصحةٍ جيّدة!

- لا أستطيع أن أقول شيئاً، مازلتُ أفكر ومنذُ حادثة زميلنا الصيني من منهم استطاع أن يقتله؟ الرجلُ لم يكن غبياً أو ضعيفاً، كيف سمحَ للقاتل أن يدخلَ غرفته، بل وضعَ نفسه في مرمى مسدّسه. كيف حدث ذلك؟ ولماذا؟

- هل تسألني أنا؟

- إنما أفكّر بصوتٍ عالٍ، ولا أستطيع أن أفهم الأمر.

- أنا على ما يبدو وصلتُ إلى شيءٍ ما.

- هذا مثير للاهتمام – وضعتُ سيجارتي جانباً.

أدارت رأسها نحوي، عيناها مذهلتان إنهما خضروان، وزرقاوان في الآن نفسه؛ حين غضبت رأيتُ عَيْنَيْها خضراوين وحين ضحكت أصبحتا زرقاوين.

قالت أوفرا مفكِّرَةً:

- هل تعلم أن موت مورتيمير هزّني كثيراً؛ إنّه إنكليزي دقيق وشديد الحذر. ما كانَ ليشرب ماءً من كأسٍ متروكةٍ على الطاولة، كان يدرك بالتأكيد أنّه بخروجهِ من غرفته قد يضَعُ أحدهم شيئاً ما في كأسِهِ، هذا قد يعني أنَّ السُّمَّ وضِعَ وهو موجود، لكن هل كان ليثق بأيٍّ كان ويترك كأسه أمامه ويغادر الغرفة مثلاً، ثمَّ يعود أو ما شابه ذلك؟ ولهذا أدركتُ أن سِراً ما يحتاجُ هنا إلى رفع الغطاء عنه!

أثار كلامها اهتمامي. فنسيتُ سيجارتي وأنا أنصتُ إليها.

- ثُمّ الحادث الذي وقَعَ لـ إيلزا شيرنير؛ هل ستفتح عميلة مدرّبة جيداً واختصاصيّة بابَ غرفتها لقاتِلها؛ وتقدّم له سلاحها. تم خنقُها كما تعلم بطريقة غريبة، بالمخدة وكأنها فتاة صغيرة في المدرسة. ولماذا لم تصرخ، لم تقاوم، كيفَ ماتت بتلك السهولة. تمتمتُ قائلاً:

- لا تقولي فقط إنهما كانا تحتَ تأثير التنويم المغناطيسي، لأنني عندها لن

أصدّق في أي حال من الأحوال!

لوّحت بيدها نافيّة، حتى إنها لم تبتسم:

- توقّف! لقد فكرت في الأمر بما فيه الكفاية. أتعلم لا يمكن أن نردَّ تصرّف العميلين غير المنطقي إلى عدم الانتباه. غير صحيح لو أنّ القتيلين شخصان عاديان لكان ذلك ممكناً، أما في عملنا فكل شيء دقيق ومنظّم، القتيلان ليسا رجلاً وامرأة بسيطين نسمم الرجل ونخنق المرأة بالمخدة هكذا ببساطة، إنهما عميلا جهازي استخبارات مشهود لهما بالتفوّق، وأنت تدرك عما أتحدث؟

- ليس تماماً – وضعتُ يدي فوق صدرها، الذي كان مرناً نابضاً بالحياة. وأنا لا أحبّ الجلد المرتخي، عادةً ما يكون ذلك عند المومسات الكبيرات في السن! لم تُعر اهتماماً لحركتي وتابعت كلامَها فأزعجني ذلك قليلاً، وبدأ الملك سليمان في داخلي يصحو.

- مورتيمير ما كان ليترك كأسه أمام أحدنا ويخرج – قالت أوفرا مهتاجةً قليلاً – لم يكن ليثق بأيٍّ مِنّا، لكنّه قد يفعل ذلك لو كان في الغرفة شخصان اثنان!

- تعتقدين أن ذلك العمل بحاجة لاثنين – تثاءبتُ دون أن أسحب يدي، كانت حلمةُ ثديها كزرٍّ حريريٍّ أنيق – أحدهم يمسك الكأس

والثاني يسكب السم. لا تتغابي!

- اسحب يدك - بدأت أصابعي تهيّجها من جديد - أزحتُها قليلاً - هذا هو الاحتمال الوحيد الذي يمكن أن يضعف يقظتَهُ، لقد كان واثقاً أن عميلين اثنين لا يمكن أن يتفقا على جريمةٍ كهذهِ، وكذلك ثقتُهُ الكبيرة بنفسهِ، والأخيرة هي التي أودت به هل تفهمني الآن؟

أجبتُها بأسلوبٍ خطابي رسمي:

- سيّدة مانديل، هل رأيت يوماً ما نفسكِ في المرآة؟

- ما علاقة ذلك بما أقوله؟ - لم تفهمني أوفرا.

- أقصد لو رأيتِ نفسك عارية في المرآة، وكأنكِ في عيني رجل لما طرحت أبداً مثل هذهِ الأسئلة السخيفة. إن الرجل وهو بجانب مثل هذا الجسد لا يمكنُهُ أن يفهم شيئاً، أو أن يفكّر بشيء، أليس مثل هذا الأمر واضحاً.

- رودلف ما أقوله بمنتهى الجديّة فاستمع إليَّ حتّى - النهاية وستدرك أني محقّة!

تمتمت:

- ماذا بقي لي أن أفعل على كل حال؟

- اتفقنا أن السيدة شيرنير ما كانت لتفتح باب غرفتها لأحد، كانت قد حملت سلاحها على الأقل، لكنها فتحت الباب لقاتلها ببساطة! هذا

يعني أن القاتل لم يكن وحدَهُ! هل فهمت فكرتي؟ كانا اثنين، لذلك فتحت لزميليها بكل أريحيّة، وبذلك ارتكبت الخطأ نفسه الذي ارتكبه الإنكليزي من قبلها، ظانّةً أن عميلين مختلفين لا يمكن أن يتفقا على مثلِ تلك الجريمة، باستطاعة اثنين أن يخنقا إيلزا هل فهمت؟ نهضتُ وجلستُ على السرير، ناسياً أن أستر عورتي. كانت أوفرا تقولُ كلاماً مهماً حقاً.

- تعتقدين أن اثنين من زملائنا اتفقا على تنفيذ الجريمتين الأولى والثانية؟

قالت بشيءٍ من التوتر:

- بل أعرف من هما؟!

- هل يمكن أن تسمّيهما؟

- من منا كان يكنُّ شعوراً طيباً للسيّدة شيرنير؟

- تقصدين حسين؟

- نعم هو!

- فهمت فكرتك.

- كانت تميلُ إلى زميلنا الإيراني إلى حدٍّ ما، وعلى الأغلب أنه لم يزرها وحدَه ذلك المساء، بل مع شريكه ، وهكذا فتحت لهما الباب...

- لكن لماذا تعتقدين أن حُسَيْناً بالذات هو من فعل ذلك؟

- تتذكّر مقتل مورتيمير؟ حينها عاد حسين لإحضار أعواد الثقاب،

وشـريكُهُ كـان يجلس في ذلـك الوقـت على الشـرفة صـحيح، لكـن لم نجـد شاهداً يثبت بقاءَ الرجل على الشرفة طول الوقت، لعلّه غابَ لـدقائق ثُم عاد؟

- إذاً شريكُهُ كما تعتقدين هو الصيني "لي"؟

- نعم ولم أعد أشك مجرد شك لقد قتلا مورتيمير، ثم خنقا شيرنير.

- هذا ليس إثباتاً!

- لكـن مجموع هـذهِ الحقـائق ليسَ أمراً مُريحاً. لقـد أرادا أن ينتقلا معاً إلى فندق آخر بعد قتل إيلزا شيرنير!

- تابعي – كان ما تقوله يثير اهتمامي.

- عندما اقتربنا من الفندق، جهّزا لجريمةٍ جديدة؛ قتل أحدنا أنتَ أو أنا بسلاحِ شيرنير الذي سرقاه، رُبّما أطلقَ الصيني النار علينا، لكنّه لم يصبنا وبعـدها قـام حسـين بتصـفية الصـيني والصـعود إلى غرفتـهِ وتجهيـز دليلِـهِ الزائف: الاتصال بإيران، ولعلّه الأقدر على تنفيذ ذلك لقربِ غرفتهِ من غرفة لي. أما مسألة صعود أحد زميلينا الآخرين من نافذة التواليت إلى خارج الفندق، ثُمَّ الصعود إلى البهو من مخرج الطوارئ وتنفيذ الجريمة فهي صعبة جداً. قلتُ لها:

- تحليلٌ مُحكم! أما أنا فقد شككت دائماً بجوليو أنتشيللي أكثر من

غـيرهِ، رُبّمـا لأنـه يحـب التواليتـات كثـيراً لقـد دخـل التواليـت مـرتين وبعـد ارتكـاب الجـريمتين ليبـترِد! ومـا أحببـت أن أذكّـر القوميسـار بـذلك، وحـتى الصغير بول الذي لم تُحسن الاستخبارات الفرنسيّة تزويده بوثائق شخصيّة مُحكَمة كان عندي موضع شبهة أكثر من حُسين!

اعترضت أوفرا:

- لأنـكَ لا تحـب جوليـو أنتشـيللي تـركنُ إلى قناعـةٍ راسـخةٍ في أعماقـك، وربمـا لـذلك لم تنتبـه إلى الانتفـاخين تحـتَ عينيـه، إنّـه يعـاني مـن مرضـاً في كليتيه.

- آخـر مـا يعنيـني هـو حالـة المثانـة عنـده – أجبتهـا وأنـا أقـف بشـيءٍ مـن الغضب، لدينا قليلٌ من الوقت.

- لكنك لم تقل لي شيئاً؟! قالت بدهشةٍ.

- ماذا عليَّ أن أقول؟ هل عليّ الاقتناع بقصتك عن الزوج الغريب: لي – حسـين، يمكـن أن يكـون كـل مـا افترضـتِهِ صـحيحاً، لكـن أيـن الإثباتـات؟ وقد لا يكون صحيحاً، فماذا نفعل؟

كيف علينا أن نتصرّف؟ وبمن نثق؟

- أنتَ لا تثقُ بي؟ عضت أوفرا على شفتها.

لا أحبُّ النساء لهذا السبب، هناك دائماً الكثير من الانفعالات الزائدة.

- طبعاً أثق، ولكن كيف نثبت التهمة عليه؟

- يجب أن تراقبه باهتمام – قالت المرأةُ بحزم – إنه خطيرٌ جداً.

إذا كان حسين هو القاتل، فيمكنُهُ أن يُقدِمَ على أي خطوة، واليورانيوم الذي ...

وضعتُ إصبعي على شفتيها وهززتُ رأسي.

- رُبّما كان هناك من يتنصّت علينا – قلت لها – بصوتٍ خافت. هناك موضوعات عليّ ألّا أتحدث فيها مع هذهِ المرأة الجميلة ولاسيّما أنها تعمل في تلك المؤسسةِ ذاتِ المستقبل. فهمتْ ما قصدتُهُ وابتسمت بصمت. لبسنا ثيابنا بسرعة وخرجتُ لأحزم أمتعتي، وعوضاً عن الشرطي الواحد وجدتُ ثلاثةً منهم يقفون في الممر، كان منظرهم رهيباً، هدؤوا عندما شاهدوني وسمعوني أودّع أوفرا، كانوا على ما يبدو يستعدّون لاقتحام الغرفة، حيثُ يوجدُ القاتل الماهر الذي استغلَّ بحذق ثقة امرأة جميلة وشابة، لكنهم لو عرفوا كيف تتقن الرمي بالمسدس والقتال وأي استخبارات تمثّل لاطمأنوا كثيراً. وفي نهاية المطاف هذهِ أمور خاصة بين العملاء – وهم أدرى بالتصّرف فيها!!

دخلتُ غرفتي وأقفلتُ بالمفتاح، وكما توقّعت، كان رجال القوميسار (او) قد فعلوا فعلهم، لكن بحذرٍ وتهذيب ومع ذلك كانت آثار وجودهم

واضحة مما أحزنني قليلاً. نحن والقوميسار من أوزان مهنيّة مختلفة، كما في رياضة الملاكمة، ومن غير المعقول أن يدخل الحلبة ملاكم من الوزن الثقيل مع آخر من وزن الذبابة!

إمكانياتنا ومجالاتنا مختلفة إلى حدٍّ بعيد.

جمعتُ أمتعتي بسرعة، قرعوا الباب. نزلنا إلى البهو. هناك حيّانا القوميسار مبتسماً!

- أعتقدُ أننا سنجدُ ذلك المهوس قريباً أيّها السادة.

لقد تمكّنتْ السيدة شيرنير من نزع خصلة شعر من أحدهم قبل أن تموت، ومع أنه سحبها من بين أصابعها لكننا عثرنا على عدّد من الشعرات الكافية لتحديد هويته. فاسمحوا لنا أن نجري اختباراً للمطابقة مع شعرٍ كلٍ منكم.

سأل حسين:

- حتى ولو كانت تلك الشعرات إثرَ ممارسة الجنس مع أحدٍ ما؟

- يا إلهي – زفرت أوفرا – مع بقرةٍ كهذهِ؟

- ليس لدى كل امرأة إمكانيات مثل ما لديك سيّدة مانديل – أشار حسين بابتسامةٍ سامة.

- ورأيتُ الأمر بمثابةِ رمي حجرٍ في حديقتي.

فانزعجت، أنا الذي دافعتُ عن حسين كثيراً إنّه يتصرف بطريقة سيئة. ولو تركنا لأوفرا أن تحدّث القوميسار بشكوكها وفرضياتها لقبضَ على حسين فوراً ووضعهُ في السجن، لا أعرف كيفَ تتم عملية المحاكمة هنا في أندورا؛ ولكن قصّة السيدة مانديل ستحفّز لدى القاضي الكثير من الأسئلة التي سترهق هذا النموذج الإيراني!

- سأحتاج إلى عيّنات من شعركم أيّها السادة – أعلن القوميسار بصبر – والأفضل أن تقدّموها طواعيةً. الرفض سيكون بمثابة عدم الرغبة في إنجاح التحقيق وسيقوّي شكوكي نحو ذلك الشخص.

سألت أوفرا:

- وأنا أيضاً عليّ فعلُ ذلك؟

- لن أرفض، وستكون بمثابة هديّة خاصة – وانحنى القوميسار قليلاً.

- هل تأكدتَ مني ومن وثائقي أيها السيد القوميسار؟

ألا تريد إعادة جواز سفري؟

- نعم بالطبع سيّدي العقيد – أخرجَ القوميسار جواز السفر – لكن أعتقد أنك تفهمني جيداً، فأنا لا أستطيع أن أستثني أحداً، عليكَ أن تقدم عيِّنة من شعرك.

ضغط بول كتفيه قائلاً:

- إذا كان يعجبك، مع اعتقادي أنها شكوك جنونيّة لا ضرورة لها!

- سيّدي العقيد – وجّه القوميسار كلامه من جديد إلى بول – لديك واجبكَ الخاص تجاه بلدك وأنا أقوم بواجبي. إنني مُلزَمٌ بإيجاد القاتل؛ إيجادُهُ ومعاقبته مهما كلّف الثمن. القاتلُ مازالَ هنا، في بلدنا أندورا الصغيرة. وسأفعلَ كل ما بوسعي كي لا يخرجَ من هذا البلد دون عقاب.

سأله بول:

متى تريدنا أن ننتقل إلى الفندق؟

- بقدر ما تسرعونَ في ذلك يكون الأمر أفضل لكم – تنفسَ القوميسار عميقاً – أتصّور أنني بدأتُ بتحديد اهتماماتكم ومشاغلكم الحقيقيّة...

أخبرهُ بول بحزم واضح:

- نحنُ نرغبُ بتناول طعام الغداء معاً، وقد وجدنا مطعماً مناسباً، وآملُ أن لا يزعجنا كثيراً الـ "تسير بيري"[1] المكلفونَ من قبلكم.

- في أي مطعم ستتناولون الغداء؟

- في "لا لا فالير"

- اختيارٌ جيّد وافقَ القوميسار – أين ستجلسون؟

أعني داخل القاعة أم في الخارج؟ مع شرطٍ ضروري أن يتم لقاؤكم داخل

---

1) هي تسمية حيوانات شريرة تحرس بعض المداخل المهمّة في الأساطير اليونانيّة./المترجمان/

المطعم حصراً، وما عدا ذلك فأنا لا يمكنني أن أضمن لكم الحماية!

- أعتقد أننا موافقون – بسطَ بول يديه وهو ينظر إليّ.

- وبدوري نظرت إلى أنتشيللي فرأيتُهُ يهزّ رأسه موافقاً وكذلك فعلت السيدة مانديل.

قلتُ:

- اتفقنا، سنتناول طعام الغداء داخل المطعم.

اقترح القوميسار:

- سيوصلكم رجالي.

- طبعاً هززتُ رأسي – وهل يمكن أن يرافقني رجالك إلى أقربِ فرع بنكي؟ عليّ أن أستلم نقوداً وأخشى ألا يقبلوا دفتر شيكاتي بعد الأحداث التي حصلت؟

طمأنني القوميسار:

- كل شيءٍ سيكون على ما يرام، سيرافقونك ثُمّ يوصلونك إلى المطعم، لا تقلق.

أجبتُهُ صادقاً:

- أنا تقلقني فقط طاقتك العالية أيها القوميسار، تلك – الطاقة يمكن أن تسبب موجة معاكسة! وأستطيع أن أتنبّأ بما يحدث ساعتها. ثم اقترحتُ

على شركائي:

- اطلبوا أنتم الطعام وأنا سألحق بكم. هزّوا رؤوسهم موافقين.

فعقب أنتشيللي بسخريةٍ لاذعة:

- لا تتأخر طويلاً رودولف، معك عشر دقائق فقط، وإلا فسنظنُّ أنكَ هربت من دفع فاتورة المطعم.

ذكّرتُهُ قائلاً:

- أفضل غداء ما جاءَ على طريقة الضيافة الألمانيّة، حيثُ يدفَع كل شخص عن نفسه، يُخيَّلُ لي أحياناً أنكَ لست أمريكياً سيد جوليو، فعبارتك الأخيرة حول الهرب يمكن أن تصدر عن سوفييتي سابق، قد تكون جاسوساً أنتشيللي؟

- شحبَ وجههُ قليلاً ولم يفهم معنى مُزاحي:

- توقّف عن هذا المزاح، وإذا أردتني أن أكون معكم على الغداء فقل صراحةً؛ أما فيما يتعلق بالجاسوسيّة فهو مزاح غير لائق!

- قصدوا المطعم، وتوجّهتُ إلى البنك، كان الموظفونَ يجلسون في أماكن عملهم والجو حار.

- لم أتأخر أكثر من عشر دقائق كما طلبَ أنتشيللي، فور استلامي رزمة الدولارات أسرعتُ إلى المطعم وفي طريقي اشتريتُ باقةَ وردٍ كبيرة، وقد

سار خلفي طوال تلك الرحلة شرطيان محاولَيْن إخفاء مهمتهما. على باب المطعم وقف مجموعة من رجال الشرطة أيضاً.

- وأخيراً كلّنا مجتمعون – صَرّحتُ وأنا أدخل المطعم، وأقدّم باقة الورد إلى أوفرا الرائعة، التي تقبَّلت هديتي بسرور جَمّ.

- لنشرب أيّها السادة – اقترحتُ وأنا أرفعُ الكأس – نخب سيّدتنا الجميلة مانديل. رَفَعَ الخمسةُ أقداحَ النبيذ وخلال ثوانٍ صَرَخَ أحدنا أو ربّما خُيِّلَ لي ذلك، وما هي إلا ثانية أخرى حتى سقط رأسُهُ على الطاولة!! وفارق الحياة مباشرةً، نظرَ الأربعةُ الباقونَ إليه، بَرَدَ وأصبَحَ كتمثالٍ حجري! لم يدرك رجالُ الشرطة الواقفون عندَ باب المطعم ما حدث.

الفصل التاسع

أنتم جميعاً معتقلون! – صرخ القوميسار فينا ونحن لانزال حول المائدة. صمتنا، وكان كلٌّ منّا يحدّق بالآخر.

هزت جريمة القتل الجديدة الجميع: الشرطة، موظفي المطعم، القوميسار وقبل الجميع هزّتنا نحن!

ما الذي حدث؟ كان الأربعة يجلسون حول المائدة: بول، أوفرا، حسين، جوليو حين اقتربت منهم، وليس في يدي سوى باقة ورود كبيرة، قدّمت الورد لأوفرا واقترحت أن نشرب نخبَها. سكب النادل لي نبيذاً أندورياً مدهشاً من الزجاجة، رفعت كأسي وشربنا جميعاً ومعاً تقريباً، دفعة واحدة. هنا ارتجف حسين وتمتم بكلامٍ ما، ثمّ انهار فوق الطاولة، حتى إننا لم نتمكّن من فعل شي، نظرنا إليه في سكرات الموت الأخيرة التي عبرت كالبرق، ثم جاء القوميسار...

نقلوا الجثّة إلى مكان ما، انشغل الجميع من حولنا فجأة وتسارعوا إلى مكانٍ ما، نحن الأربعة فقط انتابتنا حالة من الذهول، التقت نظراتي بنظرات أوفرا أكثر من مرّة ولم أستطع أن أفهم بماذا كانت تتمتم. أمسكت يدها واقتربت منها قليلاً فعرفت أنها تردّد كلمتين فحسب طوال الوقت:

ليس هو – قالتها بالإنكليزيّة – ليس هو، ليس هو!

كرّرتها عشرات المرّات كاللعنة، وكأنها بذلك تحاول أن تعيد إلينا الإيراني المسكين، الذي أنهى وجوده الدنيوي بفعالية في هذا المطعم اللطيف "لا لافاليير".

الأمر الأوّل الذي سأل عنه القوميسار: مَنْ بالذات اقترح تناول الغداء في هذا المطعم. إنكار الأمر محض غباء، بل ليس ضرورياً. أنا من اقترح ذلك. وانقضّ القوميسار عليّ بكلّ سرور، أجرى استجوابه لي في المطعم مباشرةً.

- أتصوّر أن السيّد ليجينسكي هو صاحب اقتراح تناول الطعام في هذا المكان؟

سألته بدوري:

- هل هذه جريمة جنائيّة أيها القوميسار؟

- الاقتراح نفسه لا. لكن وافقني أن الذي حدث أمر غريب جداً. أنت بالذات مَنِ اختار المطعم ودعوت زملاءَك إليه. وتأخرت في الوصول، وما إن وصلت حتى قتل السيّد حسين أليس هذا مثيراً للاهتمام؟

تمتمت بجلافة:

- لا أرى بموت صديقنا شيئاً مثيراً للاهتمام، بقدر ما أرى مأساة حقيقيّة

أيها القوميسار وها أنت تقلبها إلى مهزلة غير مفهومة!

- مهزلة – زعق القوميسار – أنت تمارس مهزلة دمويّة منذ ثلاثة أيام. أنت من خطّط لجرائم القتل المتقنة هذه ومن نفّذها. لست أنا، بل أنت المتهم بقتل زملائك.

- عفواً أيها القوميسار، هل توجه لي تهمة القتل رسميّاً ؟ – أردت أن أتأكد – وهل أستطيع أن أعرف أين محاميّ في هذه الحالة؟ فمن غير الممكن في مسألةٍ كهذه أن أجيب عن أسئلتكم دون محامٍ.

أجاب القوميسار متعباً:

- لا، إنني حتى الآن لم أفعل. طلبت إليك أن تقدّم شهادتك بصورةٍ دقيقةٍ ودون حذلقة. فلنبدأ من البداية: أنت مَنْ بادر إلى هذا الغداء الشرير؟

- نعم. كان بودّي أن نحتفل بالمساء الأخير في أندورا!

- سنعدّ أنك تمكّنت من ذلك – أشار القوميسار بغضب – حدثني بالتفصيل: ماذا فعلت عند وصولك إلى المطعم؟

- هل تعتقد أن ذلك يساعد في التحقيق؟

- أنا أفضل مَنْ يعرف، أجب عن سؤالي سيّد ليجنسكي فقط.

- أردت أن أقول لك: إنني منذ خروجي من الفندق رافقني ودون انقطاع

اثنان من رجالك أيها القوميسار، وكاد كلٌّ منهما يقودني من يدي، ألا تعتقد أن باستطاعتهما أن يحدّثاك بالتفصيل أين كنت وماذا فعلت؟!

هَدر القوميسار بغضب:

سيّد ليجنسكي، أكرر سؤالي: حدثني بالتفصيل أين كنت قبل دخولك المطعم.

خرجت من الفندق وقصدت البنك. لا أذكر اسمه بدقّة، ولكنّه فيما أظن فرع البنك الوطني الإسباني. يقع قريباً من هذا المطعم، في أسفل الشارع، يمكنك التأكد من اسمه من رجالك. هناك صرّفت نقوداً، استلمت مالاً مقابل الشيك وخرجت من البنك.

خلال مسيري إلى هذا المطعم اشتريتُ من محلٍّ يقعُ بجانب البنكِ تقريباً باقة ورد، تلكَ الباقة، التي تمكّنَ رجالُكَ من دعكها وإتلافِها، ثمَّ تابعتُ دربي بمرافقة اثنين من رجالك حتى دخلتُ المطعم، وقدّمت الباقة إلى السيدة أوفرا مانديل على مرأى من الجميع واقترحت أن نشرب نخبها، فسكب لي النادل قدحاً من النبيذ وشربنا جميعاً وهذا كل شيء.

اعترضَ القوميسار:

- لا، ليس هذا كل شيء، نسيت أن تذكر الحدث الأهم. بعد أن دخلتَ الصالة وشربتَ قدح النبيذ سقطَ السيد حسين الذي كان إلى

جوارك ميّتاً على طاولتكم، هكذا تصبحُ اللوحة أكثر كمالاً!

- إذا كنتَ تعرف كل شيء فلماذا عليّ التحدّث إذاً؟ ثم أنت سألتني أن أحدّثك عن نفسي ومن سقطَ ليسَ أنا أيّها القوميسار، بل زميلي المسكين حسين. وليس باستطاعتي أن أحدّثك عن مشاعِرِهِ وأحاسيسه، ألستُ مُحقّاً؟!

تجاهل القوميسار سؤالي وقالَ آمِراً:

- دُلّني أين كنتَ تقف؟

وقفتُ بهدوء وتوجهتُ إلى المخْرج، ثُمَّ توقّفتُ في بداية الصالة، ذات الشكل المستطيل. ناديت القوميسار:

- كنتُ أقفُ هنا.

أمَرَ من جديد:

- تناولْ باقةَ الورد.

ناوَلَني إياها أحد رجال الشرطة.

- ماذا أفعل بها؟!

- أمسكها بيدك وتصرّف تماماً كما فعلتَ منذ ساعة، أما أنتم أيها السادة فاجلسوا حيثُ كنتم تماماً – وجّه كلامَهُ إلى الثلاثة الباقين من زملائي، بينما جلس هو بين جوليو وأوفرا، مكان حسين. ناداني:

- امشِ!

- اقتربتُ من الطاولة تحت نظراتِ رجال الشرطة وعاملي المطعم. أمر القوميسار:

- تابع.

قدّمتُ باقة الورد إلى السيدة مانديل.

- ماذا بعد ذلك؟ بدا السيد (أو) نافد الصبر.

- هذهِ لكِ – قلت للسيدة أوفرا بحزن هذهِ المرّة، وقدمت لها الورود. ناداني القوميسار أرني بدقّة كيفَ فعلتَ ذلك في المرّة الأولى!

- هذهِ لكِ – كرّرت عبارتي مُقدّماً الورد للسيّدة.

- صحيح؟ سأل القوميسار النادِلَ الواقفَ جانباً – هكذا تصرّف؟

- نعم – أجابَ النادلِ متوتراً ومتردداً.

- هكذا كانَ أم لا؟ كرّر القوميسار سؤاله وقد أدركَ ترددَ النادل العجوز.

- بالضبط – تكلّم النادِلُ بهدوءٍ – ثُمّ سكبتُ النبيذ لهذا السيد. وأشارَ إليّ.

- من أيّ زجاجة؟ – سألَ القوميسار – جميعهم شربوا من هذهِ الزجاجة؟

- من هاتين الزجاجتين – وأشارَ النادِلُ إلى الزجاجتين – لقد طلبوا زجاجتي نبيذ ما إن استقرّوا على المائدة.

- سنرسلهما للاختبار – أشار القوميسار بانزعاج – وإذا تأكّدنا أن السمَّ كان موجوداً في الزجاجة، فستجلس بقية حياتك في السجن – وجّه كلامه الأخير إلى النادِل.

- أجابَ النادِلُ متأثراً:

- شربوا جميعاً من الزجاجتين، لكن الذي مات واحد منهم فقط؟!

اعترضَ القوميسار بعقلانيّة:

- لكنهّم سمموه، وأنتَ لم تلحظ كيف وضعَ أحدهم السمَّ في الكأس، أم أنكَ لاحظت وتخشى أن تقول؟!

- لم أرَ شيئاً من ذلك سيّدي القوميسار – قالها النادلُ بعتبٍ ووقار – كيفَ يمكنكَ التفكير أنني قد أقدّم زجاجةً سيئة لهؤلاء السادة؟ أنت تعرفني منذ سنين طويلة.

- أجابَ القوميسار بلهجةِ المُصالحة:

- لا بأس، لم أقصد أن أهينك. من برأيك يمكنه أن يضَعَ السمَّ في كأس ذلكَ السيد؟

هل باستطاعةِ أحد ما أن يأتي من الشارع ويفعل ذلك؟

أجابَ النادلُ ساخِراً:

- إنكَ تعلم أن ذلك غير ممكن، ليس لدينا في أندورا من يفعل ذلك، بل

حتى يقترب من طاولة الضيوف ليخبرهم بشيءٍ مهم!

- أعرف، أعرف – تمتمَ القوميسار – لكن في جميع الأحوال، من واجبي التأكُّد.

أجابَ النادلِ بصوتٍ واثق:

- لا أعرف يا سيدي بأيّ طريقةٍ تمَّ تسميمُهُ، لكن ما عداي وعدا هؤلاء الضيوف لم يكن باستطاعة أحد أن يضَعَ السم في الكأس.

- وهذا؟ – وأشارَ القوميسار نحوي.

- هذا بالتحديد لم يكن باستطاعته أن يفعل – أجابَ النادلُ فجأةً – كنت أقفُ خلفَ ظهره وراقبتُ حركةَ يديه. لم يضَع شيئاً في الكأس بالتأكيد.

تمتَمَ القوميسار:

- تسعدني ثقتك بما تقول!

هزّ النادِلُ كتفيه:

- لكن هذا ما حصل بالفعل.

- هل اقتنعتم – بدأتُ أتعبُ من طريقة التحقيق هذهِ ، التي لا تجدي شيئاً.

سألتُ القوميسار:

- هل لي أن أجلس؟

- اجلس – أشار بيدهِ – لن نأخذ منكَ أكثر مما أخذنا؟!

- إنكَ تعمل بصورة سيئة أيّها القوميسار – علا صوت بول – ليسَ بهذهِ الطريقة يتم البحث عن القاتل. عليك استجواب العاملين في المطعم جميعاً. فلا بد أن أحدهم رأى شيئاً كان خافياً عن أنظارنا نحن. فكّر بصورةٍ أخرى أيّها القوميسار!

- لا تأمرني أنت – هدر القوميسار – هنا ليست فرنسا. أنت أيضاً أحد المتهمين مثلك مثل زملائكَ الآخرين.

- شكراً. هذهِ هي الكلمات الوحيدة التي تهدِّئُني – قال له بول مقاطعاً.

- وهكذا أيّها السادة – أعلنَ القوميسار – خلاصة لقائنا اللطيف أنني لا أعرف من أنتم، ولماذا أتيتم إلى هنا، ولكن على ما يبدو لن تتوقف جرائم القتل حتى تغادروا بلدنا إلى الأبد، ولهذا لن ننتظر إلى الغد، ستغادرون حالاً، الآن مباشرةً، أما التحقيق في الجرائم فسيُتابَع في برشلونة؛ هناك ستجدونَ العدد الكافي من المحققين والمختصّين؛ الذينَ يقيّمونَ مزاحكَ جيداً سيّد ليجينسكي، وصلابتك سيد بول. أعتقد أنكم تفهمون موقفي جيداً أيّها السادة، سينقلونكم اليوم إلى الحدود، ثُمَّ إلى برشلونة، توافقاً مع مراسلات قوميساريات الشرطة في برشلونة، التي كلّفت

متابعـة التحقيـق في الجـرائم، أنـتم ستشـاركون بصـفتكم شـهوداً، ولـن تستطيعوا المغادرة دون إذن السلطات.

- يجب أن نبقى في أندورا – أعلن بول بحزم – لن نسافر إلى أي مكان.

- هـذهِ فظاعـة – قـالَ أنتشـيللي حانقـاً – أنـا مـواطن أمريكـي وأطلـبُ الموافقة اللازمة من قنصل بلادي أو سفيرها على تسفيري من هذا البلد. أرجو إبراز وثيقة مُصدّقة أصولاً بذلك.

- حسنٌ –كادت قدرةُ القوميسار على ضبط النفس تخونه، وأوشكَ أن يصرخ – حسنٌ ابقوا هنا ليومٍ واحدٍ وليلةٍ واحدة وتابعوا قَتْلَ بعضكم بعضاً. ليأخذكم الشيطان! اعذريني سيدة مانديل. أنا سأرفَعُ الحراسة عن فندقكم، افعلوا ما شئتم، حتى تصفية واحدكم الآخر عن بكرةِ أبيكم فهي في النهاية أصول عملكم التجاري، ولكننا سندفن من يبقى منكم حيّاً في هذهِ الجبال إلى الأبد!

- لا ينبغي أن تهدّدنا أيّها القوميسار – أجابت أوفرا مرهقةً – هل من المعقول أنكَ لم تفهم حتى الآن أن قاتلاً قاسياً وبارد الأعصاب والدم يعمل بيننا، ومازلت حتى الآن تناقش أشياء وتسعى لإثبات ما لا ندري. أنت لا تستطيع فعل أي شيء أيّها القوميسار، ليسَ لأنكَ شرطي سيّئ، بل لأن اللعبة التي تُلْعَبُ ضدك وضدنا أكبر منك، وهي وسخة وحقيرة

إلى درجة لا تمنحكَ اكتشاف شيء ذي بال، ولذلك اسمح لي أن أقدّم لك نصيحة جيّدة يا سيّد (او). وانحنت أوفرا نحوه بهدوء:

- اذهب أيها الأحمق العجوز إلى... ، أنتَ تعلم إلى أين، ولا تدس أنفكَ في مسألةٍ لا تقدر عليها.

انتفض القوميسار كالملدوغ:

- ماذا قلتِ؟ سأدخلكِ السجن بسبب إهانتكِ ممثّل السلطة الرسميّة أثناءَ تأديته مهامه الوظيفيّة.

- رجتْهُ أوفرا:

- فقط لا تهدّدني. أنا مرعوبة جداً لدرجة أن أيَّ تهديد آخر لن يزيد من رعبي أبداً.

لو كان باستطاعتي لطلبتُ منكَ أنا شخصيّاً أن تعتقلني في أبعد زنزانة لديك، وتكون محكمة الإغلاق، وإلا فإني سأُجن سيد (او) وستضعني في مشفى الأمراض العقلية!

- اهدئي – نصحها أنتشيللي – جميعاً تقريباً في حالتكِ نفسها، لكن لا تستسلمي لهذهِ الهستريا. القوميسار مُحق، فلنذهب الآن إلى الفندق.

قالَ القوميسار مسرعاً:

- قبل ذلك سنفتشكم ونفتش كل شيء حولكم، فقد نَجدُ قمقماً صغيراً

أو ما شابه يحتوي بقايا السُّمِّ. بعد ذلك تذهبون إلى الفندق حيث ينتظركم رجالي وكنا قد حجزنا خمسَ غرف لكم.

بحثوا وفتّشوا بما فيهِ الكفاية، نقلوا الرجال إلى غرفة وأجبروهم على خلع ملابسهم حتى الداخلية وحدقوا في الفجواتِ جميعها. نزعوا ثياب أوفرا أيضاً في غرفةٍ أخرى، وأتصوّر ردّة فعل الشرطي – المرأة المسترجلة التي قدمت مع مجموعة خاصة من إسبانيا، وهي تنزعُ ثياب أوفرا وتتملّى جسدها وتتفحصه جيداً! أفرجوا عنا أخيراً. طبعاً ما وجدوا أيّ قماقم أو كبسولات، وبعدها سَمحَ لنا القوميسار الغاضب المتعب أن ننتقل إلى الفندق الجديد. كنا جميعاً نستحق التقدير والاحترام لوقفتنا الرجوليّة العجيبة بعد كل خسائرنا وعذاباتنا.

توزعنا في غرف الفندق الجديد الفخمة. رافقنا رجال الشرطة إلى كل مكان، وساعدونا في نقل أمتعتنا من الفندق القديم. ثُمَّ بدأت الهواتف ترن. الاتصال الأوّل جاءَ من القوميسار وبصوتٍ منتصر:

- عثرنا على القمقم.

الفصل العاشر

- أستطيع أن أهنئك سيدي القوميسار بهذا الإنجاز الكبير –كان في صوت أنتشيللي كميّة من السمِّ كافية لقتل أندورا كلها!

- لا، لا تفعل – أجاب القوميسار – لم نجد على القمقم أيّ بصمات! لقد كان صاحبه حذراً جداً، فمسحه قبل رميه بين نباتات الزينة في مركز الصالة. لكنني وجدت شيئاً آخر أيها السادة. والآن أعرف تماماً، وأرجو أنكما أيها السيدان أنتشيللي وبول قد فهمتما قصدي؟!

سأل أنتشيللي:

- لماذا تعتقد أن القاتل هو أحدنا أنا وبول؟! في حين تستثني الزوجَ الآخر الباقي وأشار نحونا.

- في المرة الأولى عندما قتل مورتيمير، بقيت أنت تشرب البيرة سيّد أنتشيللي؟

- سأل القوميسار الذي اتضح أنه يمتلك ذاكرة جيدة زيادة على مناقبه الأخرى – أم إنني مخطئ؟

- لا، لكن ما علاقة ذلك بجريمة القتل؟

- وكان السيد بول آخر من انضمَّ إلى مجموعة الذين خرجوا يتنزهون. صحيح؟

هزّ بول رأسه بتجهّم ولم يجب.

- والأمر الأهم فيما بعد، وفي جريمة قتل السيّد لي أنّ أحداً ما يطلق النار بدايةً على هذا الزوج المحب – وهنا أشار القوميسار إلينا (يعيش القوميسار، اتضح أنك مراقب حاذق، ولكن للأسف لن تصبح ميرغي جديداً) – وبعد أن أخطأت الطلقة الهدف، يتخلّص من الصيني لي تسزيون. وقد اكتشفنا مؤخراً أنه أطلق النار على القاتل، ولكن المقذوف أصاب لوحةً معلّقة على الجدار بعد أن طار في الممر، ولهذا تأخرنا في اكتشافه، لكن طلقة القاتل لم تخطئ الهدف، فقد أصابت الصيني في القلب تماماً، وكانت قد انطلقت من مسافة خمسة أمتار تقريباً، أي من الممر.

- لا، – صرخت أوفرا فجأةً – لا.

- لا بد أنك أصبت بانهيار عصبي عزيزتي؟

تحتاجين إلى قسط من الراحة، اذهبي إلى النوم، والسيّد ليجنسكي سيوصلك إلى غرفتك. هل تفعل سيّد ليجينسكي؟!

- لا، ليس هو – صرخت أوفرا بصوت أعلى من السابق – ليس هو من يوصلني.

- حدّقنا بها نحن الرجال الأربعة معاً بكثير من الدهشة. وشعرت أن أُذنيّ

قد احمرتـا، تصـوّروا أن أحـداً مـارس الجنس مع امرأة اليوم نهـاراً وفي المسـاء رفضته بشدّة ما الذي يعنيه ذلك، أليس عليه أن يفكّر في الأمر؟! ويشكّ بعبقريته!

سألتها بتوتر:

- ما المشكلة أوفرا؟

- دع أنتشـيللي يوصـلني، جوليـو هـل ستسـاعدني - خاطبـت الأمريكـي الذي يقف إلى جانبها وكان شديد الدهشة.

- هيّا، سأوصلك بالتأكيد - قال لها ذلك ومنحها يده.

خرجت ولم تستدر نحونا. صحت بأنتشيللي:

- عد بسرعة، لا تتأخر وإلا فسأبدأ بالغيرة!

لم تستدر أيضاً وتابعت سيرها.

هزّ القوميسار كتفيه قائلاً:

- انهيـارٌ عصـبي نمـوذجي. هـذا يحـدث لكنـه يمـر بسـرعة. بالمناسـبة لم أُنْـهِ كلامـي؛ شخصـان فقـط كـان بإمكانهمـا أن يقـتلا زمـيلكم الصـيني. أنـت سـيدي العقيـد والسـيّد أنتشـيللي الـذي خـرج الآن. أنتمـا الاثنـان كـان باستطاعتكما الاختفـاء عـن المراقبـة في فنـدق "روك بلانـك". هـذا يعـني أن استنتاجاتي....

- لا تفيد أحداً – قاطعه بول – إنها محاكمات عقليّة لا تعني أحداً. ها هو السيّد أنتشيللي قد عاد. آمل أن تكون السيّدة مانديل على ما يرام، ولم يسمموها حتى الآن. قال القوميسار بغضب:

- مازلت تمزح، لا بأس. سأجد القاتل في كل الأحوال وعندها سأنتقم. سألت ببراءة!

- آمل ألا يعيق انتقامك الشخصي عملك؟

- لا . لن يعيق بل سيساعد في الإعداد للمعركة الصعبة.

- يا للجمال – تنهّد أنتشيللي وقد وصل لتوّه – جمال رائع في هذه الجبال لولا ما نحن فيه.

وقفَ القوميسار:

- لا أريد أن أتحدّث إليكم أكثر، لأن الكلام لن يجدي نفعاً. سيكون رجالي حول الفندق، لم يسمح لهم بالدخول إليه. العاملون فقط موجودون هناك.

- والكاميرات – سأل أنتشيللي فجأةً، مشيراً إلى كاميرا صغيرة مُعلّقة في الداخل، أوّل الممرّ.

- لا تعيروا ذلك اهتماماً، إنها حتى الآن لا تعمل.

تمتم أنتشيللي:

- سأحاول.

- ماذا قالت أوفرا؟ سألتُ أنتشيللي.

- لا شيء، تصرّفت بطريقة غريبة – قالَ جوليو – بكت، صرخت، لم يكن ممكناً فهم أي شيء. من الأفضل أن أذهب أنا أيضاً إلى غرفتي لأستلقي. تعبتُ اليوم جداً.

- حسنٌ – وافقتُ أنا – كن حذراً فحسب، لا تسمح لأحد بالدخول إلى غرفتك. كن حذراً – كرّرت كلامي.

- خَرَجَ أنتشيللي، وبقينا نحنُ الاثنان جالسين على شرفةٍ مفتوحة. أحضرَ النادلُ لكلٍّ منا فنجان قهوة وقطعة حلوى. بينما نحنُ نشرب القهوة صامتين سُمِعَ من خلفِ ظهرينا ضجيج ما، استدرنا وشاهدنا أوفرا. وقفت ومسدسها بيدها. أعرف نظامَ نامبيرس، هناك طلقتان قويتان بما فيه الكفاية لإرسال الإنسان إلى العالم الآخر. لذلك بقيت جالساً هادئاً، وكذلك فَعَلَ الصغير بول بعد أن قدّرَ إمكاناتِ هذا السلاح، وهكذا حاولنا ألا نحرّض المرأة على إطلاق النار. سألها بول:

- ماذا تريدين أوفرا؟

- لا شيء – قالت السيدة مانديل بحزم – جئتُ لأقول إن اللعبةَ انتهت أيها السيدان بريزي وليجينسكي، الآن أعرفُ من قتلَ مورتيمير. أنتما

الاثنان فعلتما ذلك.

وقد فَتَحَ لكما الباب لأنكما كنتما معاً، وَثِقَ أنكما لن تطلقا النار عليه معاً. لكنكما تمكنتما من إلهائِهِ ودس السمِّ له. وهو سُمٌّ سريع التأثير، ولا يترك بعد ذلك أيّ آثار. لقد فكرت طويلاً، لماذا هذا القاتل البارع صاحب الجرائم المخطط لها جيداً يخطئ الهدف فجأة وبذلك الغباء، فلا يتمكن من إصابة صديقنا السيد ليجنسكي عن بعد خمسة عشر متراً، ثم فكرت: ماذا لو أنه لم يكن مخططاً للطلقة أن تصيب؟!

أكّد الاختبار أن إطلاق النار لم يأت من الأعلى، بل من الأسفل، أي من البهو تقريباً، حيث كان هناك شخصان اثنان – بول وأنتشيللي.

كانت تتحدّث بهدوء ولكنها لم تتخل عن المسدس.

- أنت سيّد بول أطلقت النار على المقعد، لتضمن دليل براءة لصديقنا، وهو صعد إلى أعلى وأطلق النار بهدوء على الصيني، لم يشك المسكين لي، بوجود مثل هذه الخطة الشيطانيّة، ولأنه محترف أدرك في اللحظة الأخيرة ما يهدّده، فأطلق النار على المهاجم قبل أن تصيبه الطلقة في رأسه، أليس صحيحاً، إنه لأمر غريب جداً؟ القاتل وهو يتعرض لإطلاق النار يصيب الهدف من الطلقة الأولى في الرأس مباشرةً؟

قال بول بهدوء:

- لا أرى الأمر غريباً، أبعدي لعبتك، إنها تثير أعصابي.

- هل تعترف؟

- بالطبع، لا!

- أنتَ من أطلق النار علينا؟

- أوقفي هذه المسرحيّة الهزليّة، قلت لكِ: لم أطلق النار.

- أنا لا أثق بكَ.

- أنتِ حرّة.

جلستُ صامتاً، أخشى أن أتحرك.

قالت أوفرا واثقةً:

- أنت أطلقت النار على المقعد، كي يستطيع رودولف أن يستل مسدس السيّدة شيرنير الملعون ويصعد ويطلق النار على لي، صحيح؟

- لا، – أخرج ولاعته، وفهمت مباشرةً أنّه لم يفعل ذلك عبثاً، ظهر في هذه اللحظة من خلف ظهر أوفرا جوليو أنتشيللي.

قالت المرأة بعصبيّة وهي توشك أن تفقد السيطرة على أعصابها:

- فهمت كل شيء، تمكّن "لي" قبل موته من إطلاق النار لمرّة واحدة فقط. وأنت تمكّنت من دس السمِّ في قدح الإيراني عندما غطّت باقة الورد الضخمة كؤوسنا، صحيح؟

- لا . – لم يعد بول يسمعها، تراءى له أنّه يسمع هذياناً غريباً – ضغط على الولاعة قبل أن أرى يد أنتشيللي ترتفع من خلف ظهر أوفرا وهي تسدد مسدس نامبيرس. دوت طلقتان معاً تقريباً.

استطاعت أن تقول لي قبل أن تموت حتى أنها ابتسمت:

- خطّطت جيداً رودولف!

كان بول يستلقي وقد فارق الحياة في الطرف الآخر. لقد تمكن من إطلاق الرصاصة الأولى على المرأة، التدريب الطويل لم يذهب سدًى. أنتشيللي أطلق النار وقد شاهد الولاعة تقذف الموت.

أمامنا استلقت جثّتان. لم يكن صوت إطلاق الرصاص قويّاً مثلما هي الحال مع المسدسات العاديّة، ولذلك لم يحضر أحد حتى الآن. كانت الشرطة في الخارج أو في البهو الأسفل.

لا تستغربوا ما سأقوله الآن. كان علينا أن نتفق منذ زمن. يخطئ كثيراً من يظن أن العالم يمكن أن تحكمه مجموعة من الدول في وقت واحد. الآن ما من توازنٍ في العالم. أمريكا تسير في المقدمة وهي الأولى، على أن اعترف بذلك، أمّا الثانية فهي روسيا بالتأكيد، الدولة الوحيدة القادرة – لو أرادت – أن تمحو أمريكا عن وجه الأرض؛ لكن ماذا لو اتفقت هاتان الدولتان؟! أو اتحدتا؟ لقد سمّى رئيس الاتحاد السوفييتي السابق هذا الأمر

"طريقة التفكير الجديدة".

لا، لا، أسحب كلماتي السابقة. جوليو أنتشيللي ابن عاهرة بالفعل، هو من اخترع مفهوم هذه الوحدة الغريبة، ولكنني لم أكن أقل لؤماً منه، فقد زينت فوائد هذه الوحدة. لقد كانت أوفرا محقّة حين قالت: إن من الصعب على شخص بمفرده أن يخطط وينفِّذ تلك الأعمال، فالقاتل غالباً ما يقع بين يدي العدالة بسبب أخطائه أو عدم قدرته على تقديم دلائل براءته، لكن عندما يعمل اثنان محترفان فإن كُلّاً منهما سيضع دلائل براءة الثاني.

دخلنا على السيّد مورتيمير معاً. ما كان بمقدور الإنكليزي البارد أن يتوقّع – حتى في كابوس مزعج – أن يتّحد عميلان بلداهما متعاديان وبينما كنت أشاغله تمكَّن جوليو من دس السمِّ له. بقي علينا الانتظار حتى يشرب الكأس، ولما فعل خرجت فوراً إلى النزهة، إلى الجبال، في حين بقي زميلي الأمريكي في الفندق.

في المرّة الثانية قرعنا باب شيرنير معاً. نحن الثنائي الوحيد. نحن الثنائي الوحيد الذي يمكن أن تفتح له الألمانيّة الباب. جميع من حولنا ظنّوا أننا عدوّان لدودان. قاومتنا شيرنير طويلاً، واستطاعت أن تنزع خصلة من شعري. في اليوم التالي قصدت صالون الحلاقة وقصصت شعري. لحظة

أيقظتني أوفرا تركته مشعّثاً كي أوحي للجميع أنني نمت بعمق.

كان أنتشيللي ينتظرني عند صالون الحلاقة في محل الأسلحة القديمة.

ولا بد أنكم تذكّرتم حديثنا، عندما قلت له:

- هنا صالون تجميل رائع، ألا تريد الحلاقة؟

- لا شكراً – ردّ عليّ وهو يضحك، ثم أضاف يذكّرني بهجومنا الليلي – أعاقك على ما يبدو شعرك الطويل.

ثم اتفقنا فيما بعد أن نتحرك ضد العميل الصيني. قرّرنا أن يُفبْرِكَ جوليو دليلاً دافعاً يثبت براءَتي وقد فعل بأن أطلق النار علي. خرج من البار، ولحظة انحنائي أطلق النار على ظهر المقعد حيث أجلس. القوميسار كان محقاً فالطلقة لم تأت من الطابق الثالث، بل من الأول كما حدّد المختصون مسار المقذوف. ركض جوليو بعد ذلك نحونا وهمس لي أين وضع المسدس، فسارعت إلى الأعلى، ولكنني على ما يبدو لم أحسن التصرّف، فشكّ العميل الصيني وتمكّن من إطلاق النار عليَّ، لكن الطلقة طارت في الممر، وعاجلته برصاصة أردته قتيلاً. تركت المسدس إلى جوار لي بعد أن مسحته جيداً. خططنا أيضاً لاغتيال حسين، الذي بدأ يوترنا نحن الاثنين حين راح يشك بنا فيما يتعلق بمقتل الألمانية.

اخترت كما تعلمون مطعم "لا لافالبير" وساندني جوليو إذا كنتم تذكرون،

إنه ابن زانية بالتأكيد وقد رسم بنفسه طريقة قتل حسين. حضرت متأخراً وفق الخطّة وبيدي باقة ورد كبيرة، وعندما قدمتها لأوفرا حجبت القدح عن نظر حسين فتمكّن جوليو بمهارة من وضع السمِّ الجهنمي في الكأس، وخطأ حسين أنه راقب حركتي أنا ويدي بالذات ولم ينتبه لتصرّف أنتشيللي.

أما أوفرا فقد كانت حاذقة وذكيّة وتمكّنت من معرفة ما يجري، لكنها أخطأت التقدير. الأمر الوحيد الذي سآسف عليه طوال حياتي هو موتها، لن أنسى لقاءَنا الجنسي المتميز. لا أعرف فيما بعد أين تم دفنها، فقد غادرنا الفندق على جناح السرعة وتمكّنا من أن نلتقي الشخص المطلوب، وأن ننجز مهمتنا الأساسية، وفي صباح اليوم التالي كنّا في مكانين مختلفين من العالم!

ستسألون: لماذا لم يقم أحدنا بتصفية الآخر؟ لم تكن هناك حاجة لذلك. السر المطلوب كان ومن دون ذلك بين أيدينا، أقصد بين أيدي روسيا وأمريكا. ولم نكن نرغب أبداً في ظهور دولة ثالثة تقاسمنا ذلك، وتملك مقدرات مخيفة!

لا بد أنكم فهمتم الأمر. ليس المهم مجلس الأمن، ولا النادي النووي، ولا السبعة الكبار؛ المهم هنا هو الاستقرار وإمكانية رصد ما يمكن أن يحدث

أو توقّع أي أمر قبل وقوعه! لا يوجد في الحقيقة ما يمكن قوله أكثر، ولولا لقائي الرومانسي مع أوفرا مانديل لما كنت تذكّرت أندورا وما حدث فيها. ونهاية يؤسفني الاعتراف أن حياتي كانت حافلة بالكثير من المغامرات وعمليات القتل، ولن تفيدنا في شيء عملية تبديل مسميات أجهزة الاستخبارات: الإدارة المركزية للاستخبارات. إدارة الاستخبارات الخارجيّة. وزارة الأمن. الإدارة المركزيّة لمكافحة التجسس. الإدارة الفيدراليّة للأمن – كل ذلك محض غباء. إننا ببساطة أحفاد الـ : "ك . ج . ب" إلى الأبد، نحن قبيلة أبناء الزانية دائماً وإلى الأبد، ولا يمكن لأيٍّ تسمية جديدة أن تغيّر ذلك.

ولا بد لي من إخباركم أنني حتى اللحظة آسف على قتل أوفرا مانديل؛ مع أن الموساد عرف كل التفاصيل، وحدد مبلغاً كبيراً مقابل رأسينا أنا وجوليو، دون مراعاة أنّ بول هو من أطلق النار عليها، إذاً بدأت عمليّة صيدنا.

تحيا أندوّرا – إنها واحدة من أجمل بقاع الأرض!

الفهرس